إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية

(١٨٧٦ – ١٩٠٩)

فاطن فرحانا بنت كاميس
17B0702

كلية التنمية والإدارة الإسلامية
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
بروناي دارالسلام

١٤٤٢هـ –٢٠٢١م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية

(١٨٧٦ – ١٩٠٩)

فاطن فرحانا بنت كاميس
17B0702

بحث مقدَّم لإكمال متطلبات الحصول على درجة
البكالوريوس في التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية إدارة التنمية الإسلامية
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
بروناي دارالسلام

٢١ شعبان 1442هـ/ ٣ إبريل 2021م

الإشراف

إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية

(١٨٧٦ – ١٩٠٩)

فاطن فرحانا بنت كاميس

17B0702

المشرف: الأستاذ محمد شهرين بن الحاج مصري

التوقيع: _____ **التاريخ:** _____

العميد: الأستاذ محمد شهرين بن الحاج مصري

التوقيع: _____ **التاريخ:** _____

إقرار

بسم الله الرحمن الرحيم

إنني أقر وأعترف أن هذا البحث العلمي من عملي وجهدي الشخصي، أمّا المقتطفات والاقتباسات فلقد أشرت إلى مصادرها في هامش البحث.

التوقيع :

الإسم : فاطن فرحانا بنت كاميس

رقم التسجيل : 17B0702

تاريخ التسليم : ٢١ شعبان 1442هـ / ٣ إبريل 2021م

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع© ٢٠٢١م لفاطن فرحانا بنت كاميس

إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية

(١٨٧٦ – ١٩٠٩)

لا تجوز إعادة إنتاج واستخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إليكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٣. يكون لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو صورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية ولكن ليس لأغراض البيع العام.

أكد هذا الإقرار: نورحميزة الأسوى بنت سيني.

التوقيع ..... التاريخ: ٢١ شعبان 1442هـ / ٣ إبريل 2021م

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد شكرا، وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبدك المصطفى وحبيبك المرتضى، اللهم صلِّ عليه أفضل صلاة وأتمها وأعمها، صلاة دائمة إلى يوم الدين، تجعلني بها ومن أسدى إلى معروفا أو ساهم في إتمام هذه الرسالة من أسعد عبادك والفائزين برضاك في الدنيا ودار المعاد. وصلّ اللهم على آله وأزواجه وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

فتشكر الباحثة الله على فضله وإحسانه عليها وما أنعم به عليها من عون وتوفيق لإكمال البحث في الموضوع إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية (١٨٧٦ – ١٩٠٩). وتقدم جزيل شكرها إلى والديها اللذين دعا ربهما ليساعداها في هذا العمل النفيس وأن يوفقاها في إتمامه. اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرا.

ثم تقدم الشكر والتقدير إلى مشرفتها العزيز محمد شهرين بن الحاج مصري على ما بذلت من وقته في الإشراف على هذا البحث العلمي، وما تقدمتها لها من جهدها وعلمها فقد ساعدتها في حل كل الصعوبات أثناء الكتابة وكذلك على نصائحها لكتابة هذا البحث. فجزاه الله عنه خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ولا تنسى أن تقدم الشكر والتقدير لجميع الأساتذة وأصدقائها على إرشادهم ومساعدتهم لها طوال مدة دراستها. وأعضاء جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية عامة على خدماتهم وحسن معاملتهم طيلة وجودها في الجامعة. وتسال الله أن يغفر لهم ويرحمهم وينجيهم ويوفقهم وإيانا في الدين والدنيا والآخرة.

ملخّص البحث

إدارة التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية

(١٨٧٦ – ١٩٠٩)

يهدف هذه الدراسة وصف جهود الخليفة في عهد الدولة العثمانية في تطوير وتقدم الدولة العثمانية في ذلك الوقت. لا سيما جهود السلطان عبد الحميد الثاني، الخليفة الأخير في الدولة العثمانية، والذي ساهم كثيرًا في عهده، لا سيما في مجال التعليم. وباختصار، تم إجراء العديد من الإصلاحات ويمكن رؤية المزيد من التقدم. تمكن من تطوير العديد من المدارس والجامعات وعارض الحداثة القادمة من الغرب. من الآن فصاعدًا، من المهم بالنسبة لنا التعرف عليه والتعرف عليه بشكل أفضل، فنحن نعلم أن التاريخ مليء دائمًا بالدروس. باختصار، كان عبد الحميد الثاني والوقت الذي حكم فيه جواهر مليئة بالتجارب والدروس التي تكشفت في قاع البحار في التاريخ. نجح السلطان عبد الحميد الثاني على الأقل جزئيًا في التغلب على المعضلة التي واجهتها الإمبراطورية العثمانية. وهو من القادة العظماء القادر على مواجهة الأزمة ليحافظ على عزة ومجد الوطن في أحسن صوره. استخدم الباحثة منهج التاريخ والوصفي لدراسة عن تاريخ دولة العثمانية وإدارة التعليم سلطان عبد الحميد الثاني. وفي هذا البحث، تم تقسيمه إلى ثلاثة فصول. ففي الفصل الأول بتاريخ الدولة العثمانية ونشأتها. بعد ذلك، في الفصل الثاني بسلطان عبد الحميد الثاني وحياته. ففي الفصل الثالث النجاح في إدارة التعليم في حكمته.

ABSTRAK

PENGURUSAN PENDIDIKAN DI DALAM PEMERINTAHAN SULTAN ABDUL HAMID II PADA ZAMAN UTHMANIYYAH (1876 – 1909)

Kajian ini membincangkan tentang penerangan usaha-usaha Khalifah ketika pemerintahan Empayar Uthmaniyyah di dalam membangunkan dan memajukan Empayar Uthmaniyyah ketika itu. Terutama sekali usaha Sultan Abdul Hamid II, iaitu Khalifah terakhir di dalam Empayar Uthmaniyyah yang mana banyak menyumbang ketika zaman pemerintahan beliau, terutama dari segi pendidikan. Secara ringkasnya, banyak pembaharuan yang telah dilakukan dan semakin banyak kemajuan yang boleh dilihat. Beliau berjaya membangunkan beberapa sekolah, universiti dan menentang kemodenan yang dibawa dari Barat. Mulai sekarang, adalah mustahak untuk kita mengenali dan mengenalnya dengan lebih baik. Kita tahu bahawa sejarah selalu penuh dengan pengajaran. Singkatnya, Abdul Hamid II dan masa di mana dia diperintah adalah permata yang penuh dengan pengalaman dan pelajaran yang telah terbentang di dasar laut sejarah. Sultan Abdul Hamid II berjaya - sekurang-kurangnya sebahagian - berjaya mengatasi dilema yang dihadap oleh Empayar Uthmaniyyah. Beliau adalah salah satu pemimpin hebat yang mampu menghadapi krisis untuk menjaga kebanggaan dan kemuliaan negara dalam bentuk terbaiknya. Penyelidik menggunakan kaedah metodologi sejarah dan pendekatan deskriptif kajian mengenai sejarah Empayar Uthmaniyyah dan pengurusan pendidikan pada zaman Sultan Abdul Hamid II. Dalam penyelidikan ini, ia dibahagikan kepada tiga bab. Dalam bab pertama dalam sejarah dan pendidikan Empayar Uthmaniyyah. Kemudian, dalam bab kedua tentang Sultan Abdul Hamid II dan sejarah hayat baginda. Dalam bab ketiga, beliau berjaya menguruskan pendidikan dalam kebijaksanaannya.

ABSTRACT

MANAGEMENT OF EDUCATION IN THE RULE OF SULTAN ABDUL HAMID II DURING THE OTTOMAN EMPIRE (1876 – 1909)

This study discusses the the efforts of the Caliph during the reign of the Ottoman Empire in developing and advancing the Ottoman Empire at that time. Especially the efforts of Sultan Abdul Hamid II, the last Caliph in the Ottoman Empire who contributed a lot during his reign, mainly in terms of education. In short, many reforms have been done and more progress can be seen. He managed to develop several schools, universities and opposed modernity brought from the West. From now on, it is important for us to get to know it better, we know that history is always full of lessons. Abdul Hamid II and the time in which he ruled were gems full of experiences and lessons that have unfolded on the seabed of history. Sultan Abdul Hamid II were successed atleast in overcome the dilemma faced by the Ottoman Empire. He is one of the great leaders who is able to face the crisis to keep the pride and glory of the country in its best forms. Researcher used the history and descriptive approach to study on the history of the Ottoman Empire and the management of education during the time of Sultan Abdul Hamid II. In this research, it was divided into three chapters. In the first chapter in the history and upbringing of the Ottoman Empire. Then, in the second chapter of Sultan Abdul Hamid II and his life. In the third chapter, he succeeded in managing education in his wisdom.

محتويات البحث

المحتويات	الصفحة
بسملة	أ
موضوع البحث	ب
صفحة الإشراف	ج
الإقرار	د
صفحة حقوق الطبع	هـ
شكر وتقدير	و
ملخص البحث	ز
Abstrak	ح
Abstract	ط
محتويات البحث	ي
الاختصارات	
خطة البحث / المقدمة	١
الفصل الأول: **تاريخ الدولة العثمانية ونشأتها**	
– المبحث الأول: نشأة دولة العثمانية	٦
– المبحث الثاني: إسهامات المؤسسات والخليفة في قيام الدولة العثمانية	١٥
الفصل الثاني: **السلطان عبد الحميد الثاني وحياته**	
– المبحث الأول: شخصية السلطان عبد الحميد الثاني	٢١
– المبحث الثاني: إسهامات في خلال حكومته	٢٥
الفصل الثالث: **النجاح في إدارة التعليم في حكومته**	
– المبحث الأول: إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في إدارة التعليم	٣٣
– المبحث الثاني: مؤسسة المدارس والجامعة	٣٦
الخاتمة	٣٩
المصادر والمراجع	٤٠

الملاحق	٤٢-٤٤

الإختصارات

ج.	الجزء
د.ت	دون تاريخ النشر
د.م.	دون مكان النشر
د.ن.	دون الناشر
ص.	الصفحة
م.	الميلادي
هـ.	الهجري

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد ؛

حكم سلطان عبد الحميد II من عام ١٨٧٦م حتى ١٩٠٩م. في زمانه كان التعليم نجح ويتواسع إلى علم مختلفة. حكمت الدولة العثمانية من ٦٩٩هـ /١٣٠٠م إلى ١٣٤٤هـ /١٩٢٤م، واتسعت رقعها الجغرافية، فشملت الأناضول، والبلقان، والشام، والعراق، ومصر، والجزائر، والحجاز، وغيرها من أنحاء العالم، وانشغلت معظم الوقت بالجوانب العسكرية، سواء في التوسع أو في حماية الحدود، حيث كانت تتعرض وبنحوٍ دائم، للاحتكاك العسكري من البلدان الأوروبية في الغرب والجنوب الغربي من حدودها، روسيا في الشمال، والدولة الصفوية في الشرق. ولذلك لا غرابة أن تتأثر الحالة التعليمية للمجتمع تبعا لذلك، ولا تنال ما كان مأمولا فيه من العناية.

ويتناول هذا البحث تطور التعليم في الدولة العثمانية في مجال الدراسة. ونظًار لسعة التاريخ العثماني، وصعوبة الإحاطة بحالة التعليم على مدى ذلك التاريخ، فسوف تركيز الاهتمام بالفترة التي حكم فيها السلطان عبد الحميد الثاني، لقربها من نهاية الدولة العثمانية؛ ولأنها الإرث الذي وجدت الدول التي استقلت عن الدولة العثمانية نفسها في مواجهته. ويهدف هذا البحث التعرف إلى تطور التعليم من عام ١٨٧٦م إلى ١٩٠٩م، وهي الفترة التي حكم فيها السلطان عبد الحميد الثاني الدولة العثمانية، ولاقى فيها الكثير من الصعوبات في مجال التعليم. سوف أتعامل هذه المسائل عن طريق تحليل الوثائق والتقارير، التي توثق الحقبة الزمنية المشار اليها. والتعليم العثماني الذي سوف أتعامل، لا يقتصر على التعليم المدرسي، وانما يشمل أنواعا مختلفة من المؤسسات التعليمية، فمنه التعليم الديني، والتعليم العسكري، والتعليم الطبي والهندسي، واعداد الموظفين، والتعليم الأساسي الذي كان تقوم به الكتاتيب ومدارس الصبيان، وتعليما بناء القادة والخلفاء والأمارء، كما هو التعليم في البلدان المختلفة في العالم في الحقبة الزمنية نفسها.

أما الإدارة هي الترتيب والتنظيم الخاص الذي يحقق أهدافاً معينة، كما تعني الإدارة النظام أو الانتظام، فالإدارة الناجحة سر نجاح الدول في كل مكان وزمان، وما سادت الحضارات إلا بالإدارة فكرا وتطبيقا، وما بادت إلا بالفوضى، وهذا نقيض للإدارة لأن الإدارة تعني النظام أو الانتظام.

مشكلة البحث

أي أن الخطوة الأولى في الدراسة العلمية هي تحديد مشكلة البحث التي ينشد الباحثة دراستها والتعرف على أبعادها بصورة دقيقة وإظهار الصورة الكاملة التي تتجلى فيها المشكلة، ولا بد أن تكون هناك مبررات علمية يسوقها الباحثة لدراسة مشكلة بعينها حتى تكون دراستها إضافة علمية جديدة. كما ذكر في المقدمة بأن في أحد العثمانيين مشكلة كثيرة بخاصة التعليم. وجدت الباحثة أن المباحث الآخرين قلة تركيز في الإدارة التعليم عند الزمن خليفة سلطان عبد الحميد II. وأن المدارس ونظام التعليم أصبح متأثرا بالفكر الغربي اتهام السلطان من التحاد والترقي له بأنه عدو العقل والعلم. لذلك فضل الباحثة على عنوان البحث

" إدارة العثمانية في مجال التعليم من عام ١٨٧٦م حتى ١٩٠٩م " لكي تركز وتضيف الباحثة على تلك المبحث.

أسئلة البحث

١) ما هي الإصلاحات التي يتم في الدولة العثمانية؟

٢) ما هي الإسهامات سلطان عبد الحميد الثاني؟

٣) ما يتركز الإصلاحات في الإدارة التعليم؟

أهداف البحث

١) بيان الإصلاحات في الدولة العثمانية.

٢) معرفة الإسهامات سلطان عبد الحميد الثاني.

٢) تركيز الإصلاحات في الإدارة التعليم.

أهمية البحث

أن أهمية الرئيسية هي لتعرض القارئ والمجتمع تاريخ تنفيذ الإدارة التعليم في عهد سلطان عبد الحميد II في زمن العثمانية، لكي يجعل القارئ والمجتمع يقدرون تاريخ الإدارة ويحسون صعوبة في تكوين التعليم خصوصا في الزمن العثمانية، وأن تكون مفيدة للسياسات الحكومية.

أسباب اختيار الموضوع

اختار الباحثة الموضوغ لأن لمواصلة دراسة إنشاء المؤسسات في الزمن سلطان عبد الحميد ولدراسة العقبة واجهت.

الدراسات السابقة

- من الكتاب **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** وضع دروس الفقه والتفسير والأخلاق في برامج الدراسة. والاقتصار فقط على تدريس التاريخ الإسلامي بما فيه العثماني. وجعل السلطان عبد الحميد مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية ووجهها لخدمة الجامعة الإسلامية.

- ومن الكتاب **Sultan ‘Abd Al–Hamid II Dan Kejatuhan Khilafah Islamiah (Peranan Gerakan Nasionalis & Golongan Minoriti)** الطريقة المعتادة للتعليم التي كانت تمارس في القصر في ذلك الوقت كانت طريقة التعلم الخاصة في القصر والتي تم التعامل معها مباشرة من قبل الشخصيات العلمية والأدبية الشهيرة في ذلك الوقت. وكان العلماء العظماء مسؤولين عن تعليمهم علوم القرآن والعربية والفقه والحديث والخط والفارسية. يتم الحصول على العلوم من خبراء في مجالات الرياضيات والجغرافيا والتاريخ والعلوم وقواعد اللغة التركية العثمانية.

- من الكتاب **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى النقلاب على الخلافة** يقال عمد السلطان عبد الحميد الثاني إلى الإقامة توازن بين التعليمين المدني والعسكري، فأنشأ المدارس المتوسطة والعليا والمعاهد الفنية لتخريج الشباب العثماني، وإعداده لتولي المناصب الحكومية والنهوض بالدولة.

- في الكتاب **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** يتحدث عن استبعاد مادة الأدب والتاريخ العام من البرامج الدراسة لكونها وسيلة من وسائل الأدب الغربي، والتاريخ القومي للشعوب الأخرى مما يؤثر على أجيال المسلمسن سلبا. ويهتم سلطان عبد الحميد بالمرأة ويجعل للفتيات دارا للمعلمات ومنع اختلاطهن بالجال.

- من **The Development of Education in the Ottoman Empire : Sultan Abdul Hamid II as a Model** يشرح انتشار المؤسسات التعليمية الحديثة في الولايات المختلفة، ومنها الولايات العربية، ففي عهد التنظيمات لم يكن بإمكان الحكومة التوسع في خدمات التعليم إلى خارج إستانبول، ولكنها باشرت من عام ١٨٧٨م بنشر التعليم في الأرجاء المختلفة من الدولة.

- وفي الكتاب **Baldatun Tayyibah : Model Andalusia** يحدث تتطور علم الفلك، الرياضيات، العلوم، الكيميائية وغير ذلك وفي الزمن العثمتنية هي مركز للدراسة المهم.

حدود البحث

هي الحدود أو الحواجز التي يلتزم الباحث بالوقوف عندها في البحث العلمي الذي يقوم بكتابته، وهناك حدود للبحث يلتزم الباحث إجبارياً بالوقوف عندها، وهناك حدود يلتزم بالوقوف عندها اختيارها، أما الحدود الإجبارية، فهي النطاق الموضوعي للبحث الذي لا يمكن للباحث أن يتجاوزه، وهذا النطاق تفرضه طبيعة الدراسة أو البحث الذي يقوم على كتابته. وحدودها في إدارة العثمانية في مجال التعليم من ١٨٧٦ إلى ١٩٠٩ والخليفة في هذا الزمن هو سلطان عبد الحميد II.

منهج البحث

إستخدمت الباحثة المنهج على وصفي التاريخية هي أسلوب لوصف الموضوع المراد دراسته عن طريق منهجية علمية صحيحة، للتوصل إلى نتائج عملية فُسِّرت بطريقة موضوعية تنسجم مع المعطيات الصحيحة للظاهرة. ومنهج التاريخي هو منهج يعتمد على الأحداث التي وقعت في الماضي، ويحللها، ويفهمها، ويفسرها على أسس منطقية.

هيكل البحث

- المقدمة
- الفصل الأول : تاريخ الدولة العثمانية ونشأته
  - المبحث الأول : نشأة دولة العثمانية
  - المبحث الثاني : إسهامات المؤسسات والخليفة العلي في قيام الدولة العثمانية وفتوحاتها
- الفصل الثاني : سلطان عبد الحميد الثاني وحياته
  - المبحث الأول : شخصية سلطان عبد الحميد الثاني
  - المبحث الثاني : إسهامات عند الخلافته
- الفصل الثالث : النجاح في إدارة التعليم في حكمته
  - المبحث الأول : إصلاحات سلطان عبد الحميد الثاني في إدارة التعليم المبحث الثاني
  - المبحث الثاني : مؤسسة المدارس والجامعة
- الخاتمة
- المصادر والمراجع
- الملاحق

المبحث الأول : نشأة دولة العثمانية

ينتسب العثمانيون إلى قبيلة تركمانية كانت عند بداية القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي تعيش في كردستان، وتزاول حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيزخان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى ، فإن سليمان جد عثمان مهاجر في عام ٦١٧هـ الموافق ١٢٢٠هـ مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناضول فاستقر في مادينة أخلاط[1] ثم بعد وفاته في عام ٦٢٨هـ الموافق ١٢٣٠م خلفه ابنه الأوسط أرطغرل، والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول، وكان معه حوالي مائة أسرة واكثر من أربعمائة فارس[2] وحين كان أرطغرل والد عثمان فارا بعشيرته التي لم يتجاوز تعدادها أربعمائة عائلة، من ويلات الهجمة المغولية، فإذا به يسمع عن بعد جلبة وضوضاء ، فلما دنا منها وجد قتالا حاميا بين مسلمين ونصارى وكانت كفة الغلبة للجيش البيزنطي، فما كان من أرطغرل إلا أن تقدم بكل حماس وثبات لنجدة إخوانه في الدين والعقيدة، فكان ذلك التقدم سببا في نصر المسلمين على النصارى وبعد انتهاء المعركة قدر قائد الجيش الإسلامي السلجوقي هذا الموقف لأرطغرل ومجموعته، فأقطعهم أرضا في الحدود الغربية للأناضول بجوار الثغور في الروم، وأتاحوا لهم بذلك فرصة توسيعها على حساب الروم، وحقق السلاجقة بذلك حليفة قويا ومشاركا في الجهاد ضد الروم، وقد قامت بين هذه الدولة الناشئة وبين سلاجقة الروم علاقة حميمة نتيجة وجود عدو مشترك لهم في العقيدة والدين، وقد استمرت هذه العلاقة طيلة حياة أرطغرل، حتى إذا توفي سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م[3] خلفه من بعده في الحكم ابنه عثمان الذي سار على سياسة أبيه السابقة في التوسع في أراضى الروم.

خرجت قبائل الغز التركية من وسط آسيا غربًا تحت وطأة البحث عن سبل العيش في رأي أو تحت وطأة ضربات قبائل المغول في رأي آخر ومهما كان السبب فمما لا شك فيه أن العامل الاقتصادي كان وارء هذه الهجرة الاضطرارية، فمن المعروف أن وسط آسيا منطقة طاردة، فهي نافورة بشرية، ولكنها كانت كثيرا ما تعجز عن الوفاء بمتطلبات هؤلاء البشر، لذا خرجت الهجرات البشرية الجماعية من هذه المنطقة إلى غرب آسيا وأوروبا وأفريقيا عبر العصور. وسواء خرجت قبائل الترك بحثًا عن العيش أو تحت ضربات المغول فإنها فشلت في الحصول

---

[1] أخلاط مدينة في شرق تركيا الحالية قريبة من بحيرة وآن في أرمينيا. **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**. ص : ٤٤

[2] **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**. ص : ٤٤

[3] **تاريخ سلاطين آل عثمان تحقيق بسام الجابي للقرماني**. ص ١٠.

على عيش آمن في المنطقة، ففي مثل هذه المجتمعات تكون لقمة العيش من حق القوي، فعلى الأضعف أن يرحل.

تحرك الترك إلى الحدود الشرقية لدولة الفرس مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، ومع نجاح المسلمين في القضاء على دولة الفرس اعتنق الأتراك الإسلام وانخرطوا في الجيش الإسلامي، وازد عدد الترك في بلاط الخلافة العباسية[4]. أما أول ظهور سياسي متكامل لهذا العنصر فكان في شكل دولة السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري في الأقاليم الشمالية الشرقية من أملاك الخلافة العباسية، وكانت قسمين شرقي عرف بسلاجقة الشام وغربي عرف بسلاجقة الروم، وهي دولة سنية تصدت للشيعة البويهيين الذين تسلطوا على الخلافة العباسية فترة من الزمن، فتمكن طغرل بك من القضاء علي البويهيين وعلى كل مظهر شيعي في دولة الخلافة، ووثق علاقاته بالخليفة العباسي وتولى حماية حدوده.

من مولد الدولة العثمانية إلى عام ١٣٠٢م :

في زمن غير محدد، يذهب إرطغرول إلى آسيا الصغرى مع أبيه سليمان شاه وأخويه سنكر تيكين وجوندوغدو، ويقيمون هناك عدة سنوات، ثم يقربون العودة إلى بلدهم الأصلي، ويغرق سليمان شاه وهو يحاول اجتياز نهر الفرات. ويواصل الأخوان طريقهم صوب تركستان، بينما يبقى ارطغرول في الأناضول مع أربعمائة خيمة. ثم يوفد إرطغرول ابنه صاروپاتى رسولا إلى السلطان السلجوقي الجديد علاء الدين – لاتحدد الرواية إلى أي من الثلاثة الذين حملوا هذا الاسم – سعيا إلى موافقة السلطان على أن يخصص أرضا لذويه وأغنامه، وعندئذ يمنحه علاء الدين بلدة سيوط كأرض خاصة له ولذريته من بعده، كما يمنحه منطقتي دومانيتش وإيرمينى بيلى كمرعيين صيفيين.

وبعد موت ارطغرول، يعقد ابنه عثمان علاقات ودية مع بعض الأعيان المسيحيين[5]، خاصة مع حاكم مدينة بيليجيك. ويسمح هذا الحاكم له بحفظ متعلقاته في القلعة في كل مرة يرحل منها إلى المراعي الصيفية، وتعبيرا عن امتنانه، يمنحه عثمان سجادة وجبنة وحملانا.

---

[4] محمد أنيس. دت. **الدولة العثمانية والشرق العربي**. الأنجلو المصرية، القاهرة. ص ١١-١٣.

[5] روبير مانتران – ترجمة بشير السباعي. **تاريخ الدولة العثمانية الجزء الأول**. القاهرة. ص : ١٩

على أن حكاما مسيحيين آخرين، مثل حاكم آينيجول (اينيجول) يرتابون في عثمان. وتؤدي مناوشات إلى سقوط ضحايا من الجانبين ويكون من بين القتلى باى خوجه، ابن صارو ياتي ومن ثم ابن شقيق عثمان، كما كان حاكم قرة جاحصار وشقيقه كالانوز من بين أعداء عثمان، وخلال هجوم، يموت مارو ياتى، شقيق عثمان.

وعندما يصل إلى علم السلطان السلجوقي أن عثمان يواجه صعوبات وأن أمير جيرميان، علاوة على ذلك، يتخذ منه موقفة معادية، فإنه يصل شخصية إلى منطقة قرة جاحصار لتأديب المسيحيين. لكن السلطان يضطر إلى العودة على أعقابه بسبب الهجوم الذي شنه المغول على مدينة ابريجلى (هيراكلي، في كابا دوس). ومن ثم يحرز عثمان الانتصار بمفرده ويطلب إلى آكتيمور، ابن شقيقه، إبلاغ الأخبار الطيبة إلى السلطان الذي يرسل اليه بيرقا وهدايا مكافأة له.

وبمجرد الاستيلاء على المدينة، يشرع عثمان في بناء دولته. فيهب الدور التي هجرها المسيحيون إلى أناس قادمين من إمارة جيرميان، ويحول الكنائس إلى مساجد ويقيم الصلاة الإسلامية. وأخيرة، ينشىء سوقة تجتذب أيضا سكان بيلجيك، المدينة الواقعة في أرض بيزنطية.

وهذه الأحداث كلها – من الاشتباكات الأولى مع حاكم قرة جاحصار وحتى الاستيلاء على يارحصار – يتدرج وقوعها، وفقا لرواية عاشق باشازاده، بين عامى م١٢٨٣ و ١٢٩٩م. لكن رواية المقدخ باشيمير – ولايجب أن ننسى أنه كان معاصرة العثمان – تشير إلى أنه يجب استكمال وتصحيح المصادر العثمانية، التي ترجع إلى نحو قرنين من الزمان بعد تلك الفترة، فيما يتعلق بعدة نقاط.

في الربع الأخير من القرن الثالث عشر، كانت منطقة ايسكيشهير، دورينيون القديمة، والقلعة القريبة تماما من قره جاحصار، في أيدي المسلمين بالفعل كان نهر سانجاريوس، نهرساكاريا الحالي، يشكل الحد الفاصل بين بيزنطة والأمراء والواقع أن الإمبراطور ميشيل الثامن (مات في عام ١٢٨٢م) كان قد رمم القلاع القريبة من الحدود ودق الأوتاد على طول النهر توقياً لهجمات التركمان. كما أن عثمان (الذي يسميه باشيمير أتمان) لم يكن أيضا الزعيم التركي الوحيد الذي كان يحارب في تلك المنطقة، فهناك من ناحية، ابن سلطان، هو عز الدين قايقاوم الثاني (الذي يسميه باشيمير بالملك المنصور)، والذي كان قد تقاسم مع أبيه المنفي في القسطنطينية.

وبعد موت هذا الأخير، سعى عثمان إلى احتلال التخوم الحدودية، بعد أن تأكد سلفة من تعاطف الخان آرجون (١٢٨٤م – ١٢٩١م) مع مساعيه. وهناك أيضا الزعماء الأتراك المستعدون لزعزعة أية سلطة، أكانت بيزنطية أم سلجوقية أم مغولية، ومن بين هؤلاء الزعماء، يشير باشيمير إلى زعيم يدعي أموريوس (أومور أو أمير؟) الذي يقطن في داخل منطقة منعطف نهر ساكاريا، وكذلك سليماباكسيس (المقصود وفقا لجميع الشواهد هو سليمان باشا، سيد بافلاجونيا). وفي البداية، فإن آموريوس، الذي عاش أخ له يدعى ناستراتيوس زمنا طويلا رهينة لدى البيزنطيين، كان حليفة للإمبراطور، لكن ذيوع صيت عثمان سرعان ما استثار طمعه وقضى على السياسة المسالمة التي سار عليها الإمبراطور الذي كان يتطلع إلى احتواء التركمان عن طريقه الهبات والعطايا. وقد تكشف إجراء آخر يهدف إلى تعزيز الحدود الشرقية عن عدم جدواه. وكان الامبراطور أندرونيك الثاني قد عين كوتزيمباكسيس قائدة المنطقة نيكوميديا، وهذا الرجل، المنحدرمن بلاد العشيرة الذهبية، كان قد جنح بمركبه عند هيراكليا البحر الأسود وتحول هو وأسرته إلى اعتناق المسيحية. على أن الامبراطورسمح له بتزويج ابنته سليمامباكسيس على أمل أن هذه الزيجة سوف تعود بالنفع يوما ما على بيزنطه.

ينتمي العثمانيون إلى قبيمة من قبائل الغز التركية تدعى قبيمة قابي، حيث خرجت نذه القبيمة من أوساط آسيا باتجاه الغرب تحت قيادة ارطغرل بك وساند دولة الروم السلاجقة ضد أعدائها؛ فمنحو السمطان السمجوقي علاء الدين الأول منطقة تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى – الأناضول[6]، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي (13م)، وبدا العثمانيون بتوسيع إمارتيم خصوصا في زمن عثمان بن ارطغرل بك 1288م الذي سميت الدولة باسمو فقد اعتنق الإسلام وتبعو الأتارك العثمانيون متأثرين بالسلاجقة المسلمين[7]، وجعل بني شير عاصمة لو وبذلك ظيرت الدولة العثمانية مستقمة عمى مسرح الأحداث، واخذ أبناء السمطان من بعده يتوسعون في الا ارضي الإسلامية وفي الا ارضي الأوروبية وواجيوا قوات معادية كثيرة من داخل البلاد الإسلامية ومن خارجيا وخصوصا في أوروبا، وتمكنوا سنة 923هـ من القضاء عمى المماليك ومعيم الخلافة العباسية في القاهرة في الوقت الذي استولوا فيو عمى مصر والشام والعارق والحجاز وشمال إفريقيا.

انتقلت الخلافة إلى الدولة العثمانية بعد إن أصبحت أقوى الدول الإسلامية عمى يد السمطان سميم الأول وقبل ذلك خاضوا صارعا مع الدول الأوروبية في أوروبا وفي البحر المتوسط، وزاد هذا الصارع بعد تولي الأتراك العثمانيين لمخلافة.

---

[6] محمد الطاهر سحري. (٢٠٠٨) **مختصر تاريخ الدولة العثمانية**. ج1، مطبعة المعارف، عنابة –الجازائر. ص 37.

[7] ميمونة حمزة المنصور. (٢٠٠٧). **تاريخ الدولة العثمانية**. دار الحامد لمنشر والتوزيع، عمان – الأردن. ص ١٣– ١٦.

ويعتبر السلطان سليمان من بين أعظم السلاطين في الدولة العثمانية، فقد وصمت الإمبراطورية في عهده إلى أوج اتساعها وقوتها برا وبحرا، كما عمل على إجراء العديد من الإصلاحات من بينيا تنظيم الاقطاعات العثمانية ،كما اصدر قانونمامة–مجموعة من القوانين– أهتم بتطبيق هذا القانون على كافة ربوع أملاكه؛ إلا إن مقدمات ضعف الدولة العثمانية بدأت في نفس هذا العهد لأسباب داخلية ولأسباب خارجية، وتوالى على السلطة سلاطين ضعاف ساهموا في إضعاف الدولة بالإضافة إلى القوة العسكرية المتمردة التي أدركت أهميتها بالنسبة للدولة العثمانية فأخذت تولي السلاطين وتخلعهم أو تقتلهم وتبتر الأموال من كل سلطان جديد كل ذلك أسرع خطى الفساد وبالتدريج فقد الانكشارية صفاتهم القتالية ولم يعد بالإمكان الوثوق بهم في ميدان القتال.[8]

بينما كانت الدول الأوروبية تواكب عصر التطور وتستخدم التقنيات الحديثة مما أدى بها إلى التطور والازدهار؛ لم يأخذ العثمانيون بهذا التطور بالرغم من وجود علاقات قديمة بينهم وبين الدول الأوروبية عن طريق التجار والقناصل والمغامرين الذين كانوا ينتقلون بين مدنهم وعواصم الدول الأوروبية.

إلا أن تأثير الفكر الغربي لم يظهر في المجتمع العثماني إلا بعد الثورة الفرنسية 1789 التي اعتبرت أهم حادث اثر على العالم الإسلامي، قبل ذلك نظر المسلمون للغرب الأوروبي بأنه مهد الحضارة المختلفة وديانة منافسة ولهذا عاشوا بمنعزل عنها[9].

الدعامة الايديولوجية للدولة العثمانية

يتحسس كل تكوين سياسي الحاجة إلى تدعيم السلطة السياسية بدعامة ايديولوجية. وفيما يتعلق بالدولة العثمانية، فإن الدوافع التي يجري تقديمها لتبرير هيمنة آل عثمان تتبدل في سياق السنين. وبالنظر إلى التوسع السريع الراجع إلى المأثر الحربية، فإن الفكر يتوقف أو أمام قانون السيف، وكاتب الأخبار عاشق باشازاده هو أول من يشير إليه بوضعه هذه الكلمات المزهوة على لسان عثمان بصدد مناقشة حول تعيين قاض في مدينة قره چاحصار : « لقد فتحت هذه المدينة بحد سيفى، فلمذا يتوجب على طلب إذن السلطان الذي لايملك

[8] أحمد عبد الرحيم مصطفى. (١٩٩٣). **في أصول التاريخ العثماني**. دار الشروق. ط ٢. ص ١٠٠ – ١٠٤.

[9] ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص .105

حق التدخل في هذا الأمر؟ إن الله الذي منحه شرف أن يكون سلطانة قد منحنى أن أكون خانا بفضل الجهاد »[10]

وإذا كان قانون السيف يشكل أحد أعمدة السلطة، فإن من المستحسن مع ذلك استدعاء عوامل أخرى لإضفاء الشرعية عليها. وتشدد بعض كتب الأخبار على انتماء آل عثمان إلى قبيلة القايي. وقد نسب يازچى زاده إلى بكوات التخوم الحدودية قولهم : « لقد كان خان القايي ، بعد أوغوز، الابن البكر وخان جميع عشائر أوغوز، وبناء على وصية جونخان وقانون أوغوز، فإن شرف شغل منصب الخان وشرف شغل منصب الپاديشاه [العاهل] لا يمكن أن تنالهما عشائر أخرى مادامت هنأك ذرية للقايي. والآن ليس بوسعنا الأمل في الفوز بمعاونة السلاطين السلاجقة فقد خسروا الجانب الأعظم من البلاد والتتار يهيمنون عليهم. وبالنظر إلى أن المرحوم علاء الدين كان ينظر إليكم بعين العطف، فلتكن خانة. وسوف نكون في خدمتكم وسوف ننشغل هذا بالجهاد ». كما أن عاشق باشازاده قد رد نسب عثمان إلى أوغوز، ثم من أوغوز إلى نوح.

وبعد تفرق شمل القبيلة، تكف هذه الفكرة عن أن تكون صالحة. وعندئذ يجرى الاجتهاد في تصوير العثمانيين في صورة الخلفاء الشرعيين للسلاجقة. وكان لابد على أية حال من العثور على الصلات التي يمكنها تبرير انتقال السلطة.

والمحاولات الأولى تجري على استحياء. ان لايشير يازچي زاده إلا إلى العطف الذي أبداه السلطان علاء الدين تجاه عثمان. أما فيما يتعلق بعاشق باشازاده ونشري، فقد زجا بالسلاجقة في مناسبتين. فعندما يتجه إرطغرول صوب التخوم الحدودية، يخصص له السلطان المراعي الشتائية والصيفية، ثم، في عصر عثمان، پريل إليه رتلا من الجياد وبيرقأ وچوقة عسكرية وشارات حاكم للمقاطعة. بل إن نشري يزعم أن السلطان علاء الدين كان يعتبر عثمان ابنة له لأنه لم يكن له وريث.

ونحن نعرف أن ذلك غير صحيح لأن السلطان الحاكم الأخير هو مسعود الثالث. لأنه يشير إلى الجهد المبذول لإيجاد صلة نسب بين سلالة السلاجقة وسلالة العثمانيين، حتى وإن كانت صلة روحية. ووفقا لرواية سپاندو جينو، فإن محمد الثاني كان يريد تأييد الزعم بأن العثمانيين ينحدرون من كومنينيي تريبيزوند. لكن هذا الزعم لم يتسن له الثبات.

[10] روبير مانتران. (١٩٨٩). **تاريخ الدولة العثمانيةالجزو الأول**. ص : ٣٧

ولنتناول نقطة أخيرة. ففي جميع كتب الأخبار والأعمال الملحمية، تظهر فكرة الغازي، أي المجاهد في سبيل الله، بوصفها فكرة متغلغلة متكررة. فقد جرى تصوير عثمان وأورخان في صورة زعيمين لايهدفان إلا إلى نشر الدين الإسلامي. وكان جميع المحيطين بهما مفعمين بمثل أعلى واحد : القضاء على الكفار العصاة الذين لايريدون الإذعان لرفعة الإسلام. ألا يحمل أورخان في النقش المسجل على مسجد الشهادة، في بورصا، لقبه سلطان المشاركين في الجهاد والمجاهدين في سبيل الله؟[11]

وحتى إن لم يكن واردة نفي قوة الدين، فإن هذه النظرة التبسيطية إلى حدماى وإن كانت وجدت صدى واسعة، ربما يصعب تأييدها بالنسبة لعصر عثمان وأورخان. فالأتراك الذين عبروا الدردنيل في الشطر الأول من القرن الرابع عشر قد وضعوا أنفسهم في خدمة البيزنطيين. وقد دافعوا تارة عن قضية خصمه جان الخامس باليولوج، ولم تكن المسألة البتة مسألة فتح، بل مسألة تقديم عون عسكرى. فالأتراك يتواجدون في الأراضي البيزنطية بالصفة نفسها التي يتواجد بها القطالونيون.

وفي الأناضول، يقاتل مسيحيون في صفوف الجيش العثماني. وقد جال قص ميخال على صهوة جواده جنبا إلى جنب عثمان على مدار سنين عديدة قبل أن يتحول إلى اعتناق الإسلام. وفي سجل أوقاف خيرية يرجع إلى عامي ١٤٥٤ – ١٤٥٥ ويتعلق بمنطقة خودا ويندجار (وهي منطقة تمتد من نيقية إلى بيرجام، كانت بورصا عاصمة لها)، يشار إلى تيماري مسيحي اسمه أناستوس.

ولابد من الإشارة بالمثل إلى أن النقش المسجل على مسجد الشهادة لايرجع إلى عهد أورخان، وإنما إلى عهد محمد الأول لأنه يحمل تاريخ ٨٢٠هـ (١٨ فبراير ١٤١٧ – ٧ فبراير ١٤١٨)، كما أنه يشير إلى الحريق الذي دمر مسجد أورخان إثر غارة للكرمانيين على بورصا في عام ١٤١٣ ، مما حتم إعادة تشييده . ولذا فإن الإعلاء من دور المجاهد في سبيل الله يبدو أنه قد صيغ لكي يوجه إلى الأمراء الأناضوليين، لحثهم على مديد العون إلى العثمانيين الموجودين في الموقع الأمامي للعالم الاسلامي من ناحية، ولإلقاء اللوم على أولئك الذين يتخذون موقفة معادية لهم من ناحية أخرى. ومن ثم فإن فكرة الغازى تضاف إلى أفكار رئيسية أخرى بهدف تبرير هيمنة آل عثمان.

[11] روبير مانتران. (١٩٨٩). **تاريخ الدولة العثمانية الجزؤ الأول**. ص : ٣٨

كانت القسطنطينية قبل فتحها عقبة كبيرة في وجه انتشار الإسلام في أوروبا ولذلك فإن سقوطها يعنى فتح الإسلام لدخول أوروبا بقوة وسلام لمعتنقيه اكثر من ذي قبل، ويعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي، وخصوصا تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام حتى عده المؤرخون الأوروبيون ومن تابعهم نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة[12].

وقد قام السلطان بعد ذلك على ترتيب مختلف الأمور في المدينة، وإعادة تحصينها، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية وأطلق عليها لقب إسلام بول أي مدينة الإسلام.

لقد تأثر الغرب النصرانى بنبأ هذا الفتح، وانتاب النصارى شعور بالفزع والألم والحزى، و تجسم لهم خطر جيوش الإسلام القادمة من استنبول، وبذل الشعراء والأدباء ما في وسعهم التاجيج نار الحقد وبراكين الغضب في نفوس النصارى ضد المسلمين، وعقد الأمراء والملوك اجتماعات طويلة ومستمرة وتنادي النصارى إلى نبذ الخلافات والحزازات، وكان البابا نيقولا الخامس أشد الناس تأثرة بنبا سقوط القسطنطينية، وعمل جهده وصرف وقته في توحيد الدول الإيطالية وتشجيعها على قتال المسلمين، وترأس مؤتمراً عقد في روما أعلنت فيه الدول المشتركة عن عزمها على التعاون فيما بينها وتوجيه جميع جهودها وقوتها ضد العدو المشترك. وأوشك هذا الحلف أن يتم إلا أن الموت عاجل البابا بسبب الصدمة العنيفة الناشئة عن سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين والتي تسببت في همه وحزنه فمات كمدة في ٢٥ مارس سنة ١٤٥٥ م[13].

وتحمس الأمير فيليب الطيب دوق بورجونديا والتهب حماس وحمية واستنفر ملوك النصارى إلى قتال المسلمين، وحذا حذوه البارونات والفرسان والمتحمسون والمتعصبون للنصرانية، وتحواجت فكرة قتال المسلمين إلى عقيدة مقدسة تدفعهم لغزو بلادهم، وتزعمت البابوية في روما حروب النصارى ضد المسلمين، وكان السلطان محمد الفاتح بالمرصاد لكل تحركات النصارى، وخطط ونفذ ما رآه مناسبا لتقوية دولته وتدمير أعدائه، واضطر النصارى الذين كانوا يجاورون السلطان محمدا أو يتاخمون حدوده في آماسيا، وبلاد المورة ، وطرابيزون وغيرهم أن يكتموا شعورهم الحقيقي، فتظاهروا بالفرح وبعثوا وفودهم إلى السلطان في أدرنة لتهنئته على انتصاره العظيم[14].

---

[12] تاريخ الدولة العثمانية. بلماز أوزيونا. ص : ٣٨٤

[13] السلطان محمد الفاتح. ص ١٣٦، ١٣٧.

[14] على محمد الصلابي. (٢٠٠١). **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**. ص ١١٩.

وحاول البابا بيوس الثاني بكل ما أوتي من مقدرة خطابية، وحنكة سياسية، تأجيج الحقد الصليبي في نفوس النصارى شعوبا وملوكا، قادة وجنودة واستعدت بعض الدول التحقيق فكرة البابا الهادفة للقضاء على العثمانيين ولما حان وقت النفير اعتذرت دول أوروبا بسبب متاعبها الداخلية، فلقد أنهكت حرب المائة عام إنكلترا وفرنسا، كما أن بريطانيا كانت منهمكة في مشاغلها الدستورية وحروبها الأهلية، وأما أسبانيا فهي مشغولة بالقضاء على مسلمي الأندلس وأما الجمهوريات الإيطالية فكانت تهتم بتوطيد علاقاتها بالدولة العثمانية مكرهة وحبا في المال، فكانت تهتم بعلاقتها مع الدولة العثمانية.

وانتهى مشروع الحملة الصليبية بموت زعيمها البابا وأصبحت المجر والبندقية تواجه الدولة العثمانية لوحدهما؛ أما البندقية فعقدته معاهدة صادقة وحسن جوار مع العثمانيين رعاية لمصالحها، وأما المجر فقد انهزمت أمام الجيوش العثمانية واستطاع العثمانيون أن يضموا إلى دولتهم بلاد الصرب، واليونان والأفلاق والقرم، والجزر الرئيسية في الأرخبيل. وقد تم ذلك في فترة قصيرة، حيث داهمهم السلطان الفاتح، وشتت شملهم وأخذهم أخذا عظيما.

وحاول البابا (بيوس الثانى) بكل ما أوتي من مهارة وقدرة سياسية تركيز جهوده في ناحيتين اثنتين : حاول أولا أن يقنع الأتراك باعتناق الدين النصراني، ولم يقم بإرسال بعثات تبشيرية لذلك الغرض، وإنما اقتصر على إرسال خطاب إلى السلطان محمد الفاتح يطلب منه أن يعضد النصرانية، كما عضدها قبله قسطنطين وكلوفيس ووعده بأنه سيكفر عنه خطاياه إن هو أعتنق النصرانية مخلصا، ووعده بمنحه بركته واحتضانه ومنحه صكا بدخول الجنة. ولما فشل البابا في خطته هذه لجا إلى الخطة الثانية خطة التهديد والوعيد واستعمال القوة، وكانت نتائج هذه الخطة الثانية قد بدأ فشلها مسبقا بهزيمة الجيوش الصليبية والقضاء على الحملة التي قادها هونياد المجرى.

وأما آثار هذا الفتح المبين في المشرق الإسلامي – فنقول : لقد عم الفرح والابتهاج المسلمين في ربوع آسيا وأفريقيا، فقد كان هذا الفتح حلم الأجداد وأمل الأجيال، ولقد تطلعت له طويلا وها قد تحقق وأرسل السلطان محمد الفاتح رسائل إلى حكام الديار الإسلامية في مصر والحجاز وبلاد فارس والهند وغيرها ؛ يخبرهم بهذا النصر الإسلامي العظيم – وأذيعت أنباء الانتصار من فوق المنابر، وأقيمت صلوات الشكر، وزينت المنازل والحوانيت وعلقت على الجدران والحوائط الأعلام والأقمشة المزركشة بألوانها المختلفة.

يقول ابن إياس صاحب كتاب (بدائع الزهور في هذه الواقعة : ((فلما بلغ ذلك، ووصل وفد الفاتح دقت البشائر بالقلعة، ونودي في القاهرة بالزينة، ثم أن السلطان عين برسباى امير آخور ثانى رسولا إلى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح)).

المبحث الثاني : إسهامات المؤسسات والخليفة العلي في قيام الدولة العثمانية وفتوحاتها

عثمان مؤسس الدولة العثمانية

في عام 656 هـ | ١٢٠٨ م، ولد لأرطغرل ابنه عثمان الذي تنتسب إليه الدولة العثمانية وهي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العثمانية، وكانت الأحداث عظيمة، والمصائب جسيمة، يقول ابن كثير: اومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقتى الوسخ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الحانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجا إليهم[15]. لقد كان الخطب عظيما والحدث جللا، والأمة ضعفت ووهنت بسبب ذنوبها ومعاصيها ولذلك سلط عليها المغول، فهتكوا الأعراض، وسفكوا الدماء، وقتلوا الأنفس، ونهبوا الأموال، وخربوا الديار، في تلك الظروف الصعبة والوهن المستشري في مفاصل الأمة ولد عثمان مؤسس الدولة العثمانية، وهنا معنى لطيف ألا وهو بداية الأمة في التمكين هي أقصى نقطة من الضعف والانحطاط تلك هي بداية الصعود نحو العزة والنصر والتمكين، إنها حكمة الله وإرادته ومشيئته النافذة.

[15] البداية والنهاية (١٩٢/١٣، ١٩٣)

وبضعف دولة السلاجقة واندثارها قامت على أنقاضها في الشرق الدولة الخوارزمية، وفي الغرب ظهرت الإمارة العثمانية على حدود آسيا الصغرى ولكن بشكل متأخر عن الدولة الخوارزمية. وعانت الحدود الشمالية الغربية لدولة الخلافة ردحًا من الزمن من التفتت والص ارع بين كيانات سياسية صغيرة ضعيفة، كان من بينها هذه الإمارة التي خرجت من رحمها الدولة العثمانية. تنافست هذه الكيانات الصغيرة في التوسع على حساب الدولة البيزنطية التي كانت تعاني من الضعف أنذاك، جاء هذا التوسع بدافع الجهاد لتحقيق مكاسب ومغانم دنيوية وأخروية. وعلى الحدود الشمالية الغربية من هذه الكيانات بزغ نجم إمارة قادها عثمان بن أرطغرل، وبعيدًا عن الأساطير التي وردت في أصل العثمانيين فإن الفضل في تأسيس هذه الإمارة يرجع إلى عثمان الذي ولد في عام ١٢٥٨م في الوقت الذي اجتاح فيه المغول دولة الخلافة العباسية.[16]

سلطان محمد الفاتح

هو السلطان محمد الثانى (٨٣١٣ هـ / ١٩٨١ م) يعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات . حكم ما يقرب من ثلاثين عاما كانت خيرة وعزة للمسلمين. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في 16 محرم عام ٨٠٠هـ الموافق ١٨ فبراير عام 1451م، وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفات بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد الدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال حتى أنه اشتهر أخيرة في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية.

وقد انتهج المنهج الذي سار عليه والده وأجداده في الفتوحات، ولقد برز بعد توليه السلطة في الدولة العثمانية بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيرا بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ أو الترف، وكذلك ركز على تطوير كتائب الجيش واعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوافرة في ذلك العصر.

وعمل على تطوير إدارة الأقاليم وأقر بعض الولاة السابقين في أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصير أو إهمال وطور البلاط السلطاني وأمدهم بالخبرات الإدارية والعسكرية الجيدة مما ساهم في استقرار الدولة والتقدم إلى

[16] عمر عبد العزيز. (١٩٨٣). **تاريخ المشرق العربي ١٥١٦ – ١٩٢٢**. دار النهضة العربية، بيروت. ص ٣٥- ٣٦.

الأمام وبعد أن قطع أشواطا مثمرة في الإصلاح الداخلي تطلع إلى المناطق المسيحية في أوروبا لفتحها ونشر الإسلام فيها، ولقد ساعدته عوامل عدة في تحقيق أهدافه، منها الضعف الذي وصلت إليه الامبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التي عمت جميع مناطقها ومدنها، ولم يكتف السلطان محمد بذلك بل إنه عمل بجد من أجل أن يتوج انتصاراته بفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية، والمعتل الاستراتيجي الهام للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامى.

لفترة طويلة من الزمن، والتي طالما اعتزت بها الامبراطورية البيزنطية بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة، وجعلها عاصمة للدولة العثمانية وتحقيق ما عجز عن تحقيقه أسلافه من قادة الجيوش الإسلامية.

السلطان أورخان بن عثمان

بعد وفاة عثمان تولى الحكم ابنه أورخان، وسار على نفس سياسة والده في الحكم والفتوحات، وفي عام ٧٢٧هـ الموافق ١٣٢٧هـ سقطت في يده نيقوميديا، وتقع في شمال غرب آسيا الصغرى قرب مدينة اسطنبول وهي مدينة أزميت الحالية، فأنشأ بها أول جامعة عثمانية، وعهد بإدارتها إلى داود القيصري أحد العلماء العثمانيين الذين درسوا في مصر واهتم ببناء الجيش على أسس عصرية وجعله جيشا نظاميا[17].

وحرص السلطان أورخان على تحقيق بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم له في فتح القسطنطينية ووضع خطة استراتيجية تستهدف إلى محاصرة العاصمة البيزنطية من الغرب والشرق في آن واحد، ولتحقيق ذلك أرسل ابنه وولي عهده ((سليمان)) لعبور مضيق ((الدردنيل)) والاستيلاء على بعض المواقع في الناحية الغربية.

وفي عام (٧٥٨هـ) اجتاز سليمان مضيق ((الدردنيل)) ليلا مع أربعين رجلا من فرسان الإسلام ولما أدركوا الضفة الغربية، استولوا على الزوارق الرومية الراسية هناك، وعادوا بها إلى الضفة الشرقية، إذ لم يكن للعثمانيين أسطول حينذاك حيث لاتزال دولتهم في بداية تأسيسها، وفي الضفة الشرقية أمرا ((سليمان)) جنوده أن يركبوا في الزوارق حيث تنقلهم إلى الشاطئ الأوروبى حيث فتحوا ميناء قلعة ((ترنب)) و ((غاليبولى)) التي فيها قلعة ((جنا قلعة)) و ((أبسالا)) و ((رودستو)) وكلها تقع على مضيق ((الدردنيل)) من الجنوب إلى الشمال، وبهذا خطا هذا السلطان خطوة كبيرة استفاد بها من جاء بعده في فتح ((القسطنطينية)).

[17] د محمد حرب. (١٩٩٤). **العثمانيون في التاريخ والحضارة**. القاهرة. ص ١٧.

السلطان مراد الأول

كان مراد الأول شجاعا مجاهدا كريما متدينا، وكان محبا للنظام متمسكا به، عادلا على رعاياه وجنوده، شغوفا بالغزوات وبناء المساجد والمدارس والملاجئ، وكان بجانبه مجموعة من خيرة القادة والخبراء والعسكريين، شكل منهم مجلسا لشورته، وتوسع في آسيا الصغرى وأوروبا في وقت واحد.

ففي أوروبا هاجم الجيش العثماني أملاك الدولة البيزنطية ثم استولى على مدينة أدرنه في عام (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م) وكانت لتلك المدينة أهمية استراتيجية في البلقان، وكانت ثانى مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية. واتخد مراد من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية منذ عام (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، وبذلك انتقلت العاصمة إلى أوروبا، وأصبحت أدرنه عاصمة إسلامية، وكان هدف مراد من هذه النقلة :

1- استغلال مناعة استحكامات أدرنه الحربية وقربها من مسرح العمليات الجهادية.

٢- رغبة مراد في ضم الأقاليم الأوروبية التي وصلوا إليها في جهادهم وثبتوا أقدامهم فيها.

٣- جمع مراد في هذه العاصمة كل مقومات النهوض بالدولة وأصول الحكم، فتكونت فيها فئات الموظفين وفرق الجيش وطوائف رجال القانون وعلماء الدين، وأقيمت دور المحاكم وشيدت المدارس المدنية والمعاهد العسكرية لتدريب الانكشارية.

واستمرت أدرنه على هذا الوضع السياسي والعسكري والإداري والثقافى والدينى حتى فتح العثمانيون القسطنطينية في عام (٨٥٧هـ -١٤٥٣م)، فأصبحت عاصمة لدولتهم.[18]

السلطان بايزيد الأول

بعد استشهاد السلطان مراد تولى الحكم ابنه بايزيد، وكان شجاعا شهما كريما متحمسا للفتوحات الإسلامية، ولذلك اهتم اهتماما كبيرا بالشئون العسكرية فاستهدف الإمارات المسيحية في الأناضول وخلال عام أصبحت تابعة للدولة العثمانية، وكان با يزيد كمثل البرق في تحركاته بين الجبهتين البلقانية والأناضولية ولذلك أطلق عليه لقب والصاعقة[19].

---

[18] د إسماعيل باغى. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص ٣٧.

[19] على محمد الصلابي. (٢٠٠١). **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**. ص .٦٥

السلطان محمد الأول

كان متوسط القامة، مستدير الوجه، متلاصق الحاجبين، أبيض البشرة، أحمر الخدين، واسع الصدر، صاحب بدن قوى في غاية النشاط وجورة، يمارس المصارعة، ويسحب أقوى أوتار الأقواس. اشترك أثناء حكمه في ٢٤ حرب وأصيب باربعين جرحا. استطاع السلطان محمد جلبي أن يقضي على الحرب الأهلية بسبب ما أوتي من الحزم والكياسة وبعد النظر وتغلب على أخوته واحدا واحدا حتى خلص له الأمر وتفرد بالسلطان وقضى سنى حكمه الثماني في إعادة بناء الدولة وتوطيد أركانها ويعتبره بعض المؤرخين الموسم الثاني للدولة العثمانية.

ومما يؤثر عن هذا السلطان أنه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم ممن شق عصا طاعة الدولة فإنه لما قهر أمير بلاد القرمان وكان قد استقل عفا عنه بعد أن أقسم له على القرآن الشريف بأن لا يخون الدولة فيما بعد وعفا عنه ثانية بعد أن حنث في يمينه، وكانت سياسته تهدف إلى إعادة بناء الدولة وتقويتها من الداخل ولذلك سالم امبراطور القسطنطينية وحالفه وأعاد إليه بعض المدن على شاطئ البحر الأسود، وفي تساليا وصالح البندقية بعد هزيمة أسطوله أمام كليتبولى وقمع الفتن والثورات في آسيا وأوروبا وأخضع بعض الإمارات الآسيوية التي أحياها نيمورلنك ودانت له بالطاعة والولاء.

مراد الثاني

كان معروفا لدى جميع رعيته بالتقوى، والعدالة والشفقة[20]، استطاع السلطان مراد أن يقضي على حركات التمرد الداخلية التي قام بها عمه مصطفى والتي كانت تدعم من قبل أعداء الدولة العثمانية، وكان الامبراطور البيزنطى مانويل الثاني خلف الدسائس والمؤامرات والمتاعب التي تعرض لها السلطان مراد، فهو الذي دعم عم السلطان مراد الذي اسمه مصطفى بالمساعدات حتى استطاع أن يحاصر مدينة غاليبولى ابتغاء انتزاعها من السلطان واتخاذها قاعدة له إلا أن السلطان مراد قبض على عمه وقدمه للمشنقة ومع ذلك، فقد مضى الامبراطور مانويل الثاني يكيد للسلطان واحتضن شقيقة المراد الثاني، ووضعه على رأس قوة استولت على مدينة نيقيا في الأناضول، وسار إليه مراد واستطاع أن يقضي على قواته واضطر خصمه للاستسلام ثم قتل. ومن ثم

[20] على محمد الصلابي. (٢٠٠١). **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**. دار التوزيع والنشر الإسلامية. ط ١. ص ٧٩.

صمم السلطان مراد أن يلقن الامبراطور درس عمليا، فأسرع باحتلال سلولنيك، فهاجمها ودخلها عنوة في مارس (٨٣٣هـ / ١٤٣١م) وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة العثمانية.

وكان السلطا مراد يوجه الضربات الموجعة لحركات التمرد في بلاد البلقان، وحرص على تدعيم الحكم العثماني في تلك الديار، واتجه الجيش العثماني نحو الشمال لإخضاع إقليم ولاشيا وفرض عليه جزية سنوية، واضطر ملك الصرب الجديد استيفي، لازار ميتش، إلى الخضوع للعمثانيين والدخول تحت حكمهم وجدد ولاءه للسلطان، واتجه جيش عثمانى نحو الجنوب حيث قام بتوطيد دعائم الحكم العثماني في بلاد اليونان.

خلاصة من هذا يحكي قصة صحوة الإمبراطورية العثمانية والمعارضة المختلفة والمقاومة التي واجهوها أثناء تطوير الإمبراطورية العثمانية نفسها. استمروا في العمل الجاد لبناء والدفاع عن المملكة. على الرغم من أن القسطنطينية كانت في البداية معارضة رئيسية للإسلام توسيع أراضيها ولكن الآن أصبحت واحدة من أهم الدول في تاريخ العالم الإسلامي. طبعا، كان إسهامات الخليفة قد ساهم بشكل كبير في الإمبراطورية العثمانية في مختلف المجالات، وهي الدفاع والاقتصاد والسياسة والتعليم وبدونها لم تكن الإمبراطورية العثمانية موجودة وكانت مملكة قوية وقوية.

مبحث الأول : شخصية سلطان عبد الحميد الثاني

ولد عبد الحميد الثاني[21] في ٢١ سبتمبر ١٨٤٢، والده السلطان عبد الحميد هذا الأخير ذكرناه في الفصل السابق[22]. أمه تيرمشكان الشركسية الأصل، وقد توفيت عن عمر يناهز ٣٣ عام، ولم يتجاوز عبد الحميد عشر سنوات[23]، ولهذا اعتنت به زوجة أبيه حيث أنها كانت عقيما فأحسنت تربيته وحاولت منحه حنان الأم، كما

[21] انظر إلى ملحق (١)

[22] محمد حرب . (١٩٩٩). **العثمانيكف في التاريخ كالحضارة**. دار القلم، دمشق. ط ٢. ص ٣٣.

[23] عيسى حسن. (٢٠١٠). **أعظم شخصيات التاريخ (دينية ، أدبية ،سياسية، عممية، فلسفية)، تق:عبد الله المغربي، الأهلية للنشر والتوزيع**. عمان الأردن. ص327.

أوصت بميراثها له، وقد تأثر عبد الحميد بها وأعجب بوقارها وتدينها وصوتها الخفيف الهادي[24]، وفي ذلك ترى أبنته الأميرة عائشة أن السلطان عبد الحميد في اليوم التالي لتنصيبه سلطانا على العرش.

«... قابل زوجة والده التي أحبها حبا ملا عليه فؤاده، وقبل يدها وقال لها : بحنانك لم أشعر بفقدان أمي، وأنت في نظري أمي لا تفرقين عنها، ولقد جعلتك السلطانة الوالد... »[25].

تعلم القرآن الكريم وحفظه في الثامنة من العمر، وتلقى الأحاديث النبوية وتعلم العلوم العربية والإسلامية على يد كبار العلماء حيث درس العربية على يد "فريد أفندي، وشريف أفندي " وتاريخ الدولة العثمانية لدى "فاكانويس لطفي أفندي"، وأتقن اللغة الفارسية والألمانية، كما أنه يقرض الشعر وهذا ما أكدته أبنته الأميرة عائشة[26].

ولم يتوقف التحصيل العلمي والثقافي عند السلطان عبد الحميد على ما ناله في سن الدراسة في بداية شبابه، بل كان حريصا على القراءة والإطلاع حتى بعد توليه حكم الدولة العثمانية، فعلى الرغم كثرة مشاغله فقد كان شغوفا بتتبع الصحف وقراءة الكتب في شتى المجالات، ففيما قاله السير هنري وودز عن السلطان عبد الحميد أنه كان يتابع الصحافة الأوروبية يوميا ويأمر بترجمة الكتب المهمة في نفس العام الذي تصدر فيه ويقرأها أو يستمع القراعتها وهكذا ترجم ستمائة (٦٠٠) كتاب وجدت في مكتبته على شكل دفاتر.

كما أن الأميرة عائشة أشارت إلى ذلك في مذكراتها في قولها : «كان الوالد في النهار يكلف أمين بك موظف المابين بأن يقرأ عليه الكتب التاريخية الهامة، وكان هذا الرجل محل تقدير عظيم مثله لأنه كان ماهرا في الترجمة السريعة السهلة من الفرنسية إلى التركية »[27].

كما تعمق السلطان في التصوف وتدرب على استخدام الأسلحة وكان يتقن استخدام السيف وأهتم بالسياسة العالمية، وقد اتصف في صغره بالانطواء حتى سماه والده السلطان عبد المجيد بلقب الطفل المنطوي " لكن هذا

---

[24] محمد حرب. السلطان عبد الحميد أخر السلاطين العثمانيين الكبار. دار القلم، دمشق، دس. ص31.

[25] عائشة عثمان أوغلي. (١٩٩١). والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: أوغلي إكمال الدين إحسان، نقلها إلى العربية :صالح سعداوي صالح. دار البشير، عمان، الأردن. ط ٢. ص167.

[26] محمد زكي ملا حسن الدرواري. (٢٠٠٩). الكورد والدولة العثمانية. دار الزمان، دمشق. ص393، 394.

[27] عائشة عثمان أوغلي. **المرجع السابق**. ص٩١.

الانطواء دفع به إلى التأمل ومحاسبة نفسه وهذا ما يؤكده لنا السلطان عبد الحميد في مذكراته فيقول : «.. لقد عاش إخوتي من بنين وبنات حياة مليئة بالعطف والدلال بينما كان أبي يعاملني معاملة سيئة وقاسية لأسباب أجهلها، لم يعطف علي سوى أخي مراد المسكين، كانت حياتي منذ بدايتها متسمة بالجدية، ما أحببت اللعب أبدا، بدأت أفكر في الكون والوجود وأنا في مقتبل العمر ... وقد أدى عدم تفهم الناس لأفكاري إلى انطوائي على نفسي إنطواءا كاملا ... »[28].

ومن صفات السلطان أنه كان مشهورا بقوة ذاكرته وبذكائه الحاد وبقوة تأثيره في مستمعيه، رقيقا في تعامله الخاص كما كان يتصف بالتدين والشجاعة واستعمال العدالة والرحمة باعدائه ويسمح بإيقاظه من النوم طالما كان ذلك في مصلحة العمل وأمور الدولة[29].

العوامل المكونة لشخصية السلطان

بالإضافة إلى العوامل التي يتصف بها السلطان عبد الحميد كالذكاء والتدين والتعلم وغيرها من الصفات، شخصية السلطان هناك عوامل أخرى منها :

أ- رحلته إلى أوروبا ومصر : ولقد كانت لزيارة عبد الحميد إلى أوروبا أثر كبير على حياته وصفاته، حيث قام عبد العزيز بزيارة أوروبا يرافقه وفد عثماني رفيع المستوى وكان من ضمنه الأمير عبد الحميد الذي ظهر بملابس بسيطة وكان دقيقا في رؤيته، حيث التقى الوفد بساسة ذلك العصر في أوروبا مثل نابليون الثالث في فرنسا، والملكة فيكتوريا في إنجلترا، وليو بولد الثاني في بلجيكا وغليوم الأول في المانيا، وفرنسوا جوزيف في النمسا، وتفتح ذهنه على أن الحياة الأوروبية لها طرق معيشة غريبة وأخلاقيات مختلفة، كما شاهد التطور الصناعي خاصرتا العسكري منه كالذي شهدته القوات البرية الفرنسية والألمانية والقوات البحرية البريطانية وقد أعجب السلطان بألمانيا دولة نظام وعسكر وإدارة لذلك عهد عند تسلمه العرش إليها بتدريب الجيش العثماني[30]، وفي ذلك تروي الأميرة عائشة عن والدها « ... إن الألمان شعب عسكري وجاد من الطراز الأول ... ».

---

[28] السلطان عبد الحميد الثاني. (١٩٧٧). **مذكراتي السياسية "1891–1908"، مؤسسة الرسالة**. بيروت. ص209.

[29] محمد حرب. **السلطان عبد الحميد الثاني**. ص68 ،67.

[30] علي محمد الصلابي. (٢٠١٣). **السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية**. المكتبة العصرية، بيروت. ص ١٢

ب- سيطرة تيار التغريب على الدولة العثمانية : فقد نشأ عبد الحميد الثاني وهو يرى تمكن التيار التغريبي من الدولة وسيطرته عليها، وهو يدرك جيدا أن جده محمود الثاني ووالده عبد المجيد وعمه عبد العزيز كانوا واقعين تحت تأثير التيار المسمى العثمانيون الجدد، رجال تركيا الفتاة، وأستطاع عدد من أعضاء هذه الجمعية الإشتراك في فعاليات إعداد أول دستور عثماني وتحقيق ما تصوره من إصلاحات بفضل مدحت باشا ووجد أعضاء هذه الجمعية أنفسهم في أماكن النفوذ في الدولة وأصبح الباب العالي تحت سيطرتهم، وقد لاقت هذه الأخيرة تاييدا كبيرا في أواسط المثقفين وإقبال الرأي العام عليهم وكذا حب الغرب في الصحافة والإعلام وهذا أثر على طريقة ومنهج السلطان[31] حيث يقول : « ... لقد وجدت مدحت باشا ينصب من نفسه أمرا ووصيا علي، وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية وأقرب إلى الاستبداد ... »[32].

ج- اغتيال السلطان عبد العزيز : عندما أختلف مدحت باشا وجمعية العثمانيين الجدد مع السلطان عبد العزيز عزلوه عن الحكم ثم صرح انه قد إنتحر، وفي هذا قال السلطان عبد الحميد في هذا الصدد « ... إني مقتنع الآن بان عمي عبد العزيز لم يمت منتحرا، بل مات مقتولا فتقرير الطبيب مرن جدا ويمكن مناقشته بواسطة أكبر علماء الطب في العالم، فكيف يستطيع منتحرا أن يقطع شرايين ذراعيه الاثنين ...»، وقد ولدت هذه الحادثة الخوف والحقد في نفس السلطان عبد الحميد، وبهذا عمل على أن ينال المجرم عقابه، وهذا ما أكدته محكمة يلدز فحكمت على مدحت باشا بالإعدام لكن السلطان عبد الحميد خفف من العقوبة إلى السجن المؤبد.

د- أحوال بلاده : يقول السلطان عبد الحميد «... عندما توليت الحكم كانت ديوننا العمومية تقرب من ثلاثمائة مليون ليرة .. »[33]، وأمام هذا العجز أضطر السلطان أن يتخذ تدابير مالية صارمة بدأها بنفسه وبالقصر السلطاني[34]، و ما يدل على ذلك ما قاله السلطان عبد الحميد في مذكراته السياسية عندما أتهم بالشح فقال « ... أعرف كيف أنظم حساباتي ولا أحب أن ألقي مالي هنا وهناك إسرافا .. » صحيح أن السلطان تسلم دولة مفلسة ولكنه نجح في تخفيض ديونها بدرجة واضحة إلى ثلاثين مليون ليرة أي إلى العشر ولولا الحروب والتمردات التي واجهت الدولة لكان التخفيض أكثر بكثير.

---

[31] محمد حرب. **السلطان عبد الحميد الثاني**. ص58-60.

[32] محمد حرب. (١٩٩١). **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**. دار القلم، دمشق. ط ٣. ص ٧٦.

[33] محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**. ص 68.

[34] محمد حرب. **السلطان عبد الحميد الثاني**. ص51.

هـ – تعرض السلطان للاغتيال : تعرض السلطان لمحاولة إغتيال من قبل علي سعاوي وهو من أعضاء جمعية العثمانيين الجدد كان مناوئا من قبل لحكم السلطان عبد العزيز وبعد العفو عنه ترك المنفى وعاد إلى إستانبول وشغل بعض المناصب وتقرب إلى السلطان عبد الحميد الثاني لكنه نتيجة لسلوكه أعفي من إعماله الرسمية وبذلك دعي إلى مناوئة الحكم ورتب هجوما مسلحا على قصر جيراغان[35] حيث يقيم السلطان المخلوع مراد الخامس وحاول إخراجه من القصر لينصبه سلطانا حاكما بديلا عن السلطان عبد الحميد، لكن بقوة الحرس المتواجدة بالقرب من القصر أفشلت المؤامرة وقتل علي سعاوي ؛ بالإضافة إلى مؤامرة جمعية كلانتي الماسونية حيث قامت هذه الجمعية بمؤامرة هدفها إخراج السلطان مراد من القصر، لكن أحد أعضاءها حسين قام بإبلاغ السلطات المسؤولة فقبض على أعضاءها وهم في اجتماع.

٣ – منهجه في التفكير:

يمكن تلخيص أفكار السلطان عبد الحميد في جملة من النقاط أهمها :

- يقول السلطان في مذكراته «... مادامت الأمة تريد تجربة مسؤولياتها في مقدرتها وحكم نفسها فليكن ما تريد الأمة ... »[36]، وهنا رأي السلطان أن الحاكمية لا تقوم على القوة وإنما على العدل.
- وقد أكد السلطان إن الحرب لا تكون إلا بالاستعداد لها وهذا ما كان مفقودا في الحب العثمانية الروسية.
- عمل عبد الحميد الثاني على تأكيد مبدأ الشورى والتقيد بالإسلام لأنه حضارة متكاملة وتفوق الحضارة الغربية.
- لم يمانع السلطان الأخذ من الحضارة الغربية بشرط أن يكون الأخذ في الأمور المفيدة ويرى أن عدم الأخذ من العلوم الحديثة سبب تخلف الدولة العثمانية[37].
- كما رأى انه لا يمكن الجمع بين الإسلام والمسيحية في حضارة واحدة، حيث قال «... الإسلام والمسيحية نظرتان مختلفتان ولا يمكن الجمع بينهما في حضارة واحدة ... »[38] وهذا ما جعل الغرب يقيم حروبا باسم المسيحية والصليب لإكراه الإسلام والهلال على الخضوع، لأنهم يعرفون حق المعرفة

---

[35] عبد المنعم الهاشيمي. (٢٠٠٤). **الخلافة العثمانية**. دار أبن حزم، بيروت. ص ٥٢٣، ٥٢٤.

[36] محمدحرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**. ص181.

[37] محمد حرب. السلطان عبد الحميد الثاني. ص ٧٢، ٧٣.

[38] محمدحرب. مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني. ص ٢٣.

قوة الإسلام والتي تجعل الدولة العثمانية قوية إذا ما تمسكت به ؛ فعمل السلطان على إنتهاز هذه القوة من خلال الدعوة للجامعة الإسلامية وهذا ما سنراه في الفصول القادمة[39].

- كما كان السلطان متيقنا أن الدول الأوروبية تتخذ من امتيازات حماية نصارى الدولة ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة كما حدث في عهد عمه السلطان عبد العزيز وذلك لما لاحظه من شراء صدوره العظام ووزراءه.
- كما كانت نظرة السلطان للدستور أنه لم يكن يصلح للدولة العثمانية فيقال في هذا الصدد «... مدحت باشا لم يرى غير فوائد الحكم المشروطي في أوروبا، ولكنه لا يصلح لكل بنية وأضن، أن أصول المشروطية غير مقيدة أما الآن فإني مقتنع بضررها ... »[40].

مبحث الثاني : إسهامات عند الخلافته

١ - الجانب السياسي والعسكري : إعلان الدستور حيث كان مدحت باشا يسعى إلى إعلان الدستور في الدولة وقد إنتهى إلى أعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثان، أثناء مدة حكم السلطان مراد الوجيزة وأخذ وعودا من السلطان عبد الحميد قبل توليه عرش الخلافة، بإعلان الدستور ومنح القانون الأساسي[41]، فيقول محمد علي الأحمد «... شعر السلطان عبد الحميد أنه لابد من الانحناء للعاصفة كي تمر ومن ثم يستطيع أن يتحرك لتنفيذ مايراه مناسبا للنهوض بالدولة والخروج من مأزقها التي وصلت إليه وفي الوقت نفسه يسير في طريق الإصلاح محاولا التوفيق بين خطته وخطة وزرائه الذين فارضوه في ذلك قبل استلامه السلطة ... »[42]، وبعد تعيينه مدحت باشا صدرا أعظم بأربعة أيام صدر إليه مرسوم سلطاني مرفق معه القانون الأساسي للدولة مشتمل على مائة وتسع عشرة مادة يبدأ العمل بأحكامه مباشر من يوم نشره وأعلن القانون الأساسي أو الدستور بالأستانة[43] في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦م بينما يعقد ممثلو الدول الكبرى مؤتمرهم في إستانبول لتقرير ما سيفرضه على الدولة العثمانية من مطالب وإجراءات، في ذلك الوقت دوت أصوات المدفعية في سماء العاصمة العثمانية معلنة مولد الدستور الجديد الذي أعلن المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، كما نص الدستور على إقامة مجلسين هما : مجلس المبعوثات الذي يتكون من

---

39 محمد حرب. السلطان عبد الحميد الثاني. ص ٨٣، ٨٤.

40 محمدحرب. مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني. ص ٧٩.

41 سليمان بن صالح الخراشي. **كيف سقطت الدولة العثمانية؟**. دار القاسم الرياض. دس، ص ٣٣.

42 محمد علي الأحمد. المرجع السابق. ص184.

43 سليمان بن صالح الخراشي. **كيف سقطت الدولة العثمانية؟**. دار القاسم الرياض. دس، ص ٣٤.

٢٤٥ عضو يتم انتخابهم من جميع ولايات السلطة، ومجلس الشيوخ يتكون من أربعين (٤٠) عضو يختارهم ويعينهم السلطان[44]، كما نص القانون الأساسي على تشكيل محكمة عليا وعلى إعتبار مبدأ اللامركزية كأسلوب في الإدارة، ويتبع ويطبق في كافة ولايات الدولة العثمانية وقد أشاد بسمارك عضو ألمانيا في هذا المؤتمر بخطوة السلطان عبد الحميد الموفقة لإسكات ممثلية الدول الكبرى[45] فيقول السلطان عبد الحميد في هذا الصدد أنه رأى أثناء مؤتمر الدول الكبرى ١٨٧٧ الذي عقد في إستانبول ما عزفت عليه هذه الدول وهي ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعاية المسيحيين بل تأمين الاستقلال الذاتي لهؤلاء الرعايا ثم العمل على إستقلالهم التام وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية[46]، وبهذا عمل السلطان على تعطيل العمل بالدستور في فيفري عام ١٨٧٨ من أجل إتخاذ الإجراءات المناسبة للحفاظ على إستقرار الدولة العثمانية التي تضم قوميات وأجناس متعددة، حيث صدر أمر سلطاني بعد اتفاق وزراء الدولة وأعيانها بإرجاء اجتماعه إلى أجل غير محدود في ١٨٧٩، وقد أعطى العديد من المؤرخين منهم سرهنك بتبرير لإيقاف مجلس المبعوثات من خلال أسباب أهمها عدم تجانس الأمة العثمانية وميل جميع الطوائف غير المسلمة بها إلى ترويج مصلحة الدولة الأوروبية التي تستند عليها تلك الطائفة إلى أن أرغم على إعلانه ثانية في يونيو1908[47] .

كما عمل السلطان عبد الحميد على تطبيق المركزية الإدارية على جميع ولايات الدولة المختلفة، وبموجب ذلك أصبح الوالي موظفا من قبل السلطان مع تقييد صلاحيات الوالي العسكرية والمالية، وتم تقسيم الولايات إلى سنجقيات، والمصرفية إلى أقضية والقضاء إلى نواحي والناحية هي الوحدة الإدارية الصغرى[48]، فقد فصلت ولاية بيروت مثلا عن ولاية سورية في ١٨٨٧ وبرزت الدولة العثمانية ذلك بانه نتيجة لإزدياد أهمية مدينة بيروت وحساسيتها وللوقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه بالإضافة إلى اتساع ولاية سورية، وإتخاذ ولاتها مدينة دمشق مركزا لهم وبهذا جعلت بيروت ولاية مكونة من الوية بيروت وعكا والبلقاء وطرابلس الشام واللاذقية وفي عام ١٨٨١ ونتيجة لازدياد أهمية بيت المقدس، انشا الباب العالي سنجقيته منفصلة في فلسطين تسمى سنجقية بيت المقدس تكون تابعة للباب العالي مباشرة كما ذكرنا[49]، وقد طور جهاز الدولة والمدن والخدمات

---

[44] نزار فازان. (١٩٩٢). **أحداث ومشاهير عالمية "سلاطين بني عثمان بين فتنة الأخوة وفتنة الانكشارية**. دار الفكر اللبناني، بيروت. ص72.

[45] محمد علي الأحمد. **المرجع السابق**. ص ١٨٥، ١٨٦.

[46] محمد حرب. **السلطان عبد الحميد الثاني**. ص ١٤٤، ١٤٥.

[47] محمد علي الأحمد. **المرجع السابق**. ص ١٨٨.

[48] عبد العزيز محمد عوض. **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864–1914**، تق :أحمد عزت عبد الكريم، رسالة ماجستير في الآداب. دار المعارف، القاهرة. ص73 ،77.

[49] إسماعيل أحمد ياغي. المرجع السابق. ص ١٧٦.

البلدية مما أدى إلى تزايد في عدد الموظفين بسرعة بالغة ليصل إلى مئة ألف (١٠٠,٠٠٠) عند نهاية القرن وأجرى ضبط تنظيم للوظائف العامة، وتم إعداد كبار الموظفين في مدرسة الإدارة الملكية التي أنشأت في عصر التنظيمات وكذلك في المنشآت المتخصصة الجديدة كمدرسة الحقوق ومدرسة الشؤون المالية ، ويتم اختيار الموظفين عن طريق الجدارة وفق نظام مسابقات وامتحانات وعمل على تحديد رواتبهم فقام السلطان في عام ١٨٨٠ بإنشاء وزارة للشرطة وفق النموذج الفرنسي وعمل على إنشاء شبكة تجلس موازية للوزارة تدار من القصر.

أما من الجانب العسكري فقد أهتم السلطان بالتعليم العسكري فانشا أكاديمية للعلوم العسكرية وعدد من المدارس العسكرية العالية والثانوية والإعدادية وكون جهازا تنظيما لها باسم نظارة المكاتب العسكرية، وأمر بإرتداء الزي الأوروبي وتمتد إصلاحات عسكرية هامة في عهده الذي استخدم عدد من الجنرالات الألمان المختصين منهم في دركولج وفون هوفد كامب هوفد حيث قاموا بتدريب الجيش العثماني على أحداث الأسلحة ووفق متطلبات العصر، كما أرسل السلطان بعثات عسكرية إلى ألمانيا وقام بافتتاح مدرسة في قصره لإعداد موظفي التلغراف الإدارة الشبكة الهاتفية للأغراض العسكرية والمدنية، وأصبح في الإمكان إصدار الأوامر وتسيير الإتصالات بين القادة في مختلف الجهات أما بالنسبة للسلطة العسكرية فقد فصلت عن السلطة المدنية وكان التجنيد يتم عن طريق القرعة بموجب قانون أخذ العسكر ١٨٧٦ الذي ألغى أحكام الأنظمة السابقة اعتبارا من أول مارس ١٨٨٧ حيث توجب على كل فرد بلغ العشرين من العمر أن يتوجه إلى دائرة أخذ العسكر من أجل سحب القرعة، وتكون الخدمة العسكرية لمدة عشرون سنة كاملة، بينما مدة خدمة العساكر اثنا عشر عاما، وقد قسمت الإمبراطورية العثمانية إلى ست دوائر وقسمت دائرة معسكر إلى أربعة دوائر وكل دائرة فرقة إلى دائرتي لواء وكل دائرة لواء إلى دائرتي آلاي وكل دائرة آلاي إلى أربع طوابير وكل طابور إلى أربعة دوائر بلوكات، وفي دمشق على سبيل المثال أنشأت ثكنة تعرف بإسم القشلة الحميدية أيام ولاية حسين ناظم باشا ١٨٩٥-١٩٠٧، والتي أمر السلطان ببنائها لتكن جامعة عثمانية ينام ويطعم فيها أفراد الجيش الخامس العثماني المتمركزة في مدينة دمشق[50].

وأهتم السلطان كذلك بإنشاء الألوية الحميدية فأصدر عام ١٨٩١ فرمانا يقضي بتشكيل الألوية الحميدية الكوردية الخيالة من العشائر الكوردية في المناطق المتاخمة للإمبراطورية الروسية في شرق تركيا الحالية، رفضت أن

[50] ماري دكران سركو. (٢٠١٠). **دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876–1908**. منشكارت الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق. ص ٢٢٦.

تكون هذه القوة الغير نظامية مساندة للقوى النظامية في أثناء الحرب وحقيقة اهتمام السلطان بالكورد اتخاذهم كجيش احتياطي للحرب المقبلة مع الإمبراطورية الروسية، وكسب ود الكورد لتحقيق الاستقرار والأمن في الأناظول.

٢ - الجانب الاقتصادي : الحميد بوضع ورث السلطان عبد الحميد اقتصادا هزيلا عندما استلم الخلافة، حيث كانت الدولة غارقة بالديون كما سبق الذكر، وكانت الأزمات تحيط بالسلطة من كل جانب فقام السلطان عبد خطة اقتصادية لإنعاش الاقتصاد العثماني المنهار، وبدا هذا الإصلاح بنفسه حيث أمر بتخفيف مخصصاته الشهرية كي يكون مثالا يحتذي به، كما أقام عدد من المؤسسات الحديثة من كليات وأكاديميات في كافة أنحاء الأمبراطورية، وأرسل البعثات التعليمة المتخصصة في مختلف الميادين المهنية.

كما أوفد السلطان بعثة تعلمية إلى فرنسا للتدريب على مكافحة حشرة الفيلوكسيز وبعثة مماثلة إلى ألمانيا للإطلاع على أصول تربية الحيوان، وقام بإنشاء أول مدرسة زراعية في سيلانيك وعمل على إنشاء مدارس للتشجير والزراعة في كل ولاية[51].

كما عملت الدولة العثمانية على اتصال مباشر مع ممثلي الدائنين الأوروبيين للتفاوض على الشروط الجديدة للدين فصدر في ١٨٨١ مرسوم محرم ينص على تخفيض وتثبيت الدين العثماني ولخدمة هذا الدين رصدت الحكومة عددا معينا من دخولها كدخول احتكار الملح والضريبة على الكحوليات ورسوم الدمغة وضريبة العشر على الحرير والضرائب المفروضة على صيد السمك وعوائد التبغ، ولجباية إدارة هذه الدخول عملت على إنشاء جهاز مالي خاضع للقانون العثماني، لكنه متميز بالكامل عن وزارة الشؤون المالية العثمانية هو إدارة الدين العام والتي أنشئت في عام ١٨٨٢ كان يشرف عليها مجلس الدائنين الأجانب من مندوب إنجليزي، فرنسي، إيطالي، نمساوي، ألماني، وممثل لصيانة جالاتا، يرأسه المندوب البريطاني والمندوب الفرنسي، وقد خصصت لهذه الإدارة موارد ضرائب واحتكارات مختلفة كانت حصيلتها تخصص لدفع فوائد الديون وأقساط استهلاكها، ومن هنا كانت الإدارة تقوم بتحصيل وإنفاق الدخول كما أصبحت أداة لجباية غير ذلك من الضرائب[52].

---

[51] السلطان عبد الحميد الثاني. المصدر السابق. ص189.

[52] ماري ملز باتريك. (١٩٨٦). **سلاطين بني عثمان "صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي"**. مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، لبنان. ط ١. ص 126.

بالإضافة إلى هذا فقد أنشأ في ١٨٨٧ المصرف الزراعي وأصبح هذا المصرف يقبل كالودائع بفائدة ٤ ٪ كان المقر الرئيسي لهذا المصرف استانبول وانتشرت فروعه في ولايات الدولة فقد قدم فرع مصرف دمشق قروضا للفلاحين بلغ مجموعها ٢٢٤,١٠٠ قرش موزعة على أقضية ولاية سوريا.

كما أقام السلطان بإنشاء مؤسسات حديثة للمياه وغرف للصناعة والزراعة والتجارة، وعمل على مد خط حديد الأناضول بهدف ربط شرق البحر المتوسط وبغداد بالأناضول والوصول إلى خليج البصرة وتم ذلك بمساعدة ألمانية ودر إرباح كثيرة على الولايات الواقعة على طول هذا الخط وسهل المشروع مهمة نقل الحبوب في الأسواق الرائجة وفتح العالمية البضائع الدولة العثمانية.

٣ – الجانب الثقافي والاجتماعي:

قام السلطان عبد الحميد الثاني بأعمال جليلة للدولة العثمانية فقد أنشأ كليات العلوم السياسية الجامعة لفروعها العلوم والحقوق والآداب وأكاديمية الفنون الجميلة وكلية الهندسة العالية ومدرسة اللغات ودور للمعلمين والمعلمات ومدرسة الفنون النسوية، ومدارس متوسطة اللصم والبكم والعمي[53]، كما أنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في كافة الولايات وأفتتح في إستانبول فقط سنة مدارس ثانوية وكذا أفتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى وجعل تعليم اللغة الانجليزية إلزاميا في المرحلة الإعدادية وأفتح بعض المؤسسات الثقافية منها متحف الآثار القديمة، المتحف العسكري، مكتبة بايزيد، مكتبة بلداز، ثانوية حيدر باشا، مدرسة الطب، وبالنسبة للصحة فقد إهتمت الدولة العثمانية بهذا المجال فأسست مستشفى للأطفال ودار العجزة، وشيد في عام ١٨٩٩ مبنى مستشفى الغرب بديلا عن البيمارستان لمعالجة الفقراء والأغراب، وبلغت تكاليف البناء ما يفوق ثمانمائة (٨٠٠) ألف درهم، وعرف هذا المستشفى في أوائل عهده باسم المستشفى السلطاني أو الحميدي ثم صار اسمه المستشفى الوطني، كما أنشأة مدرسة الطب التي تعتبر أول مدرسة تؤسس في دمشق في العهد العثماني فقد صدرت أوامر الإدارة السلطانية ١٩٠١ لإنشائها باسم مدرسة الحياة كان أول مقر لها مبنى زيوار باشا، وعين لها أساتذة من الأستانة يدرسون فيها باللغة التركية[54].

---

[53] محمد زكي ملا حسن الدرواري. (٢٠٠٩). **الكورد والدولة العثمانية**. دار الزمان، دمشق. ص ٤١٧، ٤١٩.

[54] ماري دكران سركو. (٢٠١٠). **دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876–1908**. منشكارت الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق. ص ٢٢٤، ٢٢٥.

ونظرا لأهمية المواصلات في حياة الفرد إهتم السلطان بهذا المجال فأنشأ طريق حمص طرابلس الذي تأسس في ١٨٨٣ برأسمال قدره تسعماة (٩٠٠) ليرة عثمانية ورفع إلى واحد وعشرون ألف (٢١٠٠٠) ليرة وطريق دمشق – حوران في ١٨٨٨ وقد أنعشت هذه الطريق القرى الواقعة على جانبيها فأصبحت تصدر منتجاتها إلى المدن السورية بسهولة بالإضافة إلى هذا إهتمت الدولة بتشييد بالسكك الحديدية مثل الشام – مزيريب ١٨٩٠ وبيروت – دمشق ١٨٩١ وأهم هذه الخطوط الخط الحجازي بداية من سبتمبر ١٩٠٠ يمتد هذا الخط من دمشق وصولا إلى المدينة المنورة وعملت الدولة على إنشاء شبكة مواصلات سلكية تؤمن سرعة الاتصال مع إستانبول فتبرع السلطان بمبلغ نصف مليون فرش من اجل مد خط تلغرافي بين المدينة المنورة ودمشق كما تلقى إعانات من ولايات الدولة.

أما في مجال القضاء أيضا تهدف قوانين ١٨٧٩ بشان تنظيم المحاكم المختلطة إلى الحد من الامتيازات القضائية التي يتمتع بها الأجانب ؛ وقد صدر في عهد السلطان عبد الحميد اربعة قوانين مهمة اثنان منهما يتعلقان بتنظيم المحاكم والباقيان بالإجراءات المدنية، وعملت الدولة العثمانية الحريصة على نزاهة وأصالة القضاء على اتخاذ إجراءات حازمة ضد المرتشيين، وإجراء تنقلات شاملة وأمرت بإجراء انتخابات موظفين من ذوي الأهلية والإستقامة فمثلا جرى نقل رئيس محكمة استئناف ولاية سورية مفتشا للأمور العدلية في ولاية حلب[55].

نستنتج من دراستنا فهم شخصية السلطان عبد الحميد الورعة والذكية والمهتمة بشؤون الخلافة العثمانية حتى قبل تسلمه الحكم، كما نلاحظ محاولة السلطان لكسب ود العرب من خلال تعيينهم في المناصب العليا والإهتمام بشؤون حياتهم لكي يصبح خليفة للمؤمنين، ولكي يساندوه في سياسته الإسلامية لدرى الخطر الأجنبي على الدولة العثمانية وقد عمل السلطان جاهدا على إبعاد اليهود من أرض فلسطين بكل ما أوتي من قوة حيث قام بإعلان بيت المقدس سنجقا تابعا مباشرة للباب العالي وأصدر العديد من الفرمانات التي تمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، ورفض الإغراءات التي جاء بها العديد من اليهود منهم تيودور هرتزل، نتج عن حرب الدولة العثمانية مع الإمبراطورية الروسية خسارة كبيرة للدولة العثمانية وفقدانها للعديد من المناطق حيث استقلت بلغاريا والجبل الأسود وثار الأرمن على الدولة العثمانية مما أدى إلى أزمة كبيرة كادت أن تعصف

[55] عبد العزيز محمد عوض. **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864–1914**، تق :أحمد عزت عبد الكريم، رسالة ماجستير في الآداب. دار المعارف، القاهرة. ص ١٣٧، ١٣٨.

بالدولة العثمانية، كما أن الدولة اليونانية خسرت في حربها مع الدولة العثمانية وهذا ما نتج عنه تعويضات مالية للدولة العثمانية وضع بعض المضائق للدولة الثمانية وتحديد الحدود بين الدولتين.

أما النسبة للإصلاحات التي مست معظم جوانب حياة الفرد حيث تم إعلان القانون الأساسي وتقسيمات إدارية في جميع الولايات العثمانية، كذا إنشاء إدارة الدين العام لتخفيف ديون الدولة العثمانية، وعمل السلطان على الاهتمام بالتعليم وصحة المواطن العثماني بإنشاء مدارس ومستشفيات والإهتمام بالجانب العسكري حيث أستقدم مختصين ألمان وبعث بعثات علمية إلى الخارج، وشيد السكك الحديدية وخطوط المواصلات[56].

لا شك أن عبد الحميد الثاني هو البطل الرئيسي بلا نزاع في أواخر عهد الدولة العثمانية. إن عبد الحميد الثاني والفترة التي حكم فيها، لهي درة مليئة بالخبرات والعبر ظلت راقدة. إن الدول والمؤسسات ترتقي بالكوادر المناسبة، والتي تبذل كل ما في وسعها لخدمة القضية، والتي تعبر عن أفكارها بوضوح عندما يقتضي الأمر. ولقد نجح السلطان عبد الحميد الثاني إنه أحد القادة النادرين الذي استطاعوا وقت الأزمات أن يحافظوا على عزة الأمة ومجدها في أبهى شكل.

[56] المرجع السابق.

المبحث الأول : إصلاحات سلطان عبد الحميد الثاني في إدارة التعليم

خدماته في مجال التعليم والإدارة

حاول السلطان عبد الحميد الثاني بإخلاص أن ينشر مؤسسات التعليم والتنوير في كل أنحاء الوطن إلى جانب اهتمامه بإعمار الدولة، لاسيما وأن التطورات التي أدخلها على التعليم أصبحت أحد النماذج البارزة الدالة على خدماته. فمثلا : تم افتتاح مدارس للمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية في شتى بقاع البلد. وفي مجال التعليم العالي تم تأسيس جامعة دار الفنون). وتم عمل تيبات فهارس خاصة بكل محتويات المكتبات الوقفية الموجودة في كل أنحاء البلد. مما ضمن سهولة عثور الطلبة على المصادر العلمية التي يبغونها.

انكب السلطان منذ أن تولى العرش، وخاصة بعد عام ١٨٨٢م على مشكلات الدولة وخاصة المشكلات المتعلقة بمجال التعليم في البلاد، وعلى رأسها العاصمة إسطنبول، وسخر جهوده لعمل كل ما يلزم لضمان إنشاء مراكز تعليمية تحقق أهدافه.

حاول عبد الحميد أن يبعد الكوادر الإدارية للدولة عن السياسية، وسعى إلى زيادة قدراتها المهنية. فتم تأسيس لجنة مراجعين لإصلاح البيروقراطية، وتعديل كافة خدماتها عام ١٨٧٨م.

أكبر أمنياته في مجال التعليم كانت القدرة على تكوينه جيشا يتميز بالطاعة والانضباط والتدريب الجيد، ومجموعة من الإداريين المخلصين للسلطنة. إن رغباته تلك هي التي تتمناه قائد كل دولة على مدار التاريخ. ولكن خصومه حاولوا أن يصوروا جهوده هذه وكأنها جريمة. ويقول السلطان عبد الحميد الثاني في هذا الصدد، في مذكراته بخصوص التهم الملصقة به في علاقاته برجال الفكر:

"لم أخش قط من إنسان يقرأ ويفكر، ولكنني أتجنب الحمقى الذين يظنون أنفسهم علماء لمجرد أنهم اطلعوا على بعض الكتب، وأبتعد أولئك الحياري المبهورون بهيئة أهل الغرب بدلا من الإعجاب تقدمهم وتطورهم لم يروا مني أي اهتمام. ولست نادمة على هذا. أيعقل أن يكون الحاكم الذي سعى لبناء مسجد في كل قرية وشيد بجانبه مدرسة عنهم عدوة للعقل والعلم؟

فلينظروا إلى الكتب التي تمت طباعتها في عهدي، ولينظروا أيضا لما تلاها "إن صفوة مختارات كبار فلاسفة أوروبا وعلمائها وأدبائها تمت طباعتها وبيعها وقراءتها في عهدي أنا. لم تكن رغبتي هي منع علوم أوروبا بل كانت منع خصومة أوروبا. فتكفل بإرسال آلاف الطلبة إلى أوروبا للدراسة. فسد منهم ثلاثة أو خمسة رجال، لكن أغلبهم قدموا خدمات طيبة للدولة، وإنني لأفتخر بهذا. إن الناس في أيام حكمي لم يكن لديهم وقت للثرثرة، بل كانوا يقرؤون أكثر، ويتعلمون أكثر، وأصبحوا أكثر تنويرة. وكنت مهتمة بالعلم، فأي إنسان كان يبدو عليه العلم ولو بزنة حبة بندق كنت أحسن إليه بزنة حبة جوز. كيف لا أشجع العلم والحال أنه لم يصبنا ما أصابنا إلا لجهلنا بما حدث وما يحدث في العالم من حولنا. وما إن اعتليت على العرش حتى قمت بمد خطوط التلغراف إلى كل أنحاء الدولة في حين أنه كانت آنذاك دول اوروبية لم تصل إليها التلغراف. وتم مد خطوط التلغراف حتى ثلاثين ألف كيلومتر إلى أن وصلت إلى القرى تحت متابعتي الحثيثة. وتم عمل تجارب لغواصة في إسطنبول على نفقتي الخاصة. وفي تلك الآونة لم يكن العالم ولا حتى بريطانيا تعلم شيئا عن ما يسمى بالغواصة. فإذا كان القادمون من بعدي تركوا هذا الأمر فما ذنبي. كلا! إني أكرر، وقلبي المحطم يصدق قولي بأنني : لم أكن عدوا أبدا لأي شيء جميل، طيب، نافع. كنت فقط عدوا للذين يعادون أي شيء جميل طيب ونافع ...".[57]

ويقول السلطان عبد الحميد الثاني في موضع آخر من مذكراته ردا على مبررات من يصورونه عدوا للعلم بالمفهوم الغربي، ودحضاً لحجتهم المتعلقة بموقفه السلبي إزاء التطورات الحادثة في هذا المجال فيقول : " أكن أنا عدوا للعقلاءا تجرؤوا على كتابة هذا بلا خجل .. أنا –على حد قولهم– لم أحترم العقل يوما على مدار حياتي! وإن كانوا يعنون " العقلاء " من كان مثلهم، فصحيح، أنا لم أحترم مثل هذا العقل. وأما إن كانوا يقصدون بذلك أنني عدو للعقلاء الحقيقيين، فليبرهنوا على هذا ولو بمثال واحد فقط، وسأقبله.

[57]- Ismet Bozdag : II. 2000. **Abdulhamid'in Hatra Defteri**. Pinar Yayinlan, Istanbul. 84 - 85.

إنني طوال حياتي بحثت عن الرجل العاقل. وللأسف لم أستطع أن أعثر عليه. لو كنت عدوا للعقلي والعلم هل كنت أفتتح جامعة، وأشيد مدارس كملكية شاهانه " التي تخرج متعلمين للأمة وللوطن؟ لو كنت عدوا للعقل والعلم هل كنت أشيد مدرسة " دار المعلمات " الخاصة بالفتيات من أجل تعليم الشابات اللواتي يهربن خوفا من الديكا لوكنت عدوا للعقل والعلم أكنت أجعل " غلطة سراي " على غرار الجامعات الأوروبية، وآمر بتدريس الحقوق للطلبة هناك؟ وقد حدث حينما قررت دروس الفلسفة على طلبة " ملكية شاهانه " أن ثار كل الطلبة وقالوا : "يريدون أن يجعلونا كفارة " .. أنا أرى أن الكفر يكمن في الجهل وليس في العلم. أصررت على موقفي، ودرسوا هذه المادة بعد أن بدلنا اسمها بالحكمة"، مثلما أمرت بتدريس هذه المادة في جامعة " دار الفنون " تحت مسمى " الفيزياء... "

إنني لم أكتف بالسعي في إعداد إنسان متعلم بافتتاح المدارس فقط بل قمت بتشجيع أولئك الذين يسعون لتعليم أنفسهم بأنفسهم. فقمت بالدعم المعنوي والمادي ل " جودت باشا "، و "أحمد مدحت أفندي" "شمس الدين سامي أفندي"، و حتى "مراد أفندي (Mizanci) " الذي يظن نفسه أنه مؤرخ كبير، وهيئت لهم فرصة لإنتاج أعمالهم. ولقد ذكرت سابقا مدى حمايتي للأدباء الآخرين. لقد تأسست " دار الشفقة " من قبل أن أتولى العرش، ولكنها لم تستمر بطريقة أو بأخرى، المدرسة التي تم تأسيسها لخدمة أيتام دولتي، أنا من أوصلتها إلى ما هي عليه اليوم. لكن –وياله من قدر غريب– فإن كل أعدائي اليوم قد تعلموا في المدارس التي أنشأتها أنا، ويزعمون بأنني أنا " عدو العقل والعلم ". وللأسف لا يشعرون بالخجل من هذا الزعم .... ".

الكتب المطبوعة في الدولة العثمانية خلال الفترة ١٨٢٠م. ١٩٠٨م[58]

الفترة الزمنية	١٨٢٠ – ١٨٣٩	١٨٤٠ – ١٨٥٩	١٨٦٠ – ١٨٧٦	١٨٧٦ – ١٩٠٨
الأدب	٥٦	٢١٧	٥٨٣	٢٩٥٠
العلوم الحديثة	٨٩	٢٣٠	٥٨٣	٣٨٩١
الدين	٥٩	٣١٠	٣٧٢	١٣٠٧
الإدارة	١٣	٥٥	١١٨	٩٣٦

الجدول الموضح أعلاه هو خير جواب على الأقاويل –لو كانت حقيقية الخاصة بذلك الصدد. ونترك التعليق والقرار الفكر القارئ...

[58] د سيف الله آرباجي. (٢٠١١). السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية. إستانبول، تركي. ط ١. ص ٤١.

كان " عبد الحميد الثاني " يهتم اهتماما خاصا بتطوير الصناعة، وتحديث نظم الزراعة، والفن، والحرف، والتجارة والمجالات المتعلقة بها. لذا أفرد السلطان عبد الحميد الثاني " أهمية كبيرة لإنشاء مراكز تعليمية مثل مدرسة "الملكية"، و مدرسة " الحقوق "، ومدرسة " الصنايع النفيسة "، ومدرسة الهندسة "، ومدرسة " شاهانه الطبية ". وهناك جزئية هامة جدا تلفت نظرنا في هذا المجال، وهي أنه تم تدريس الفرنسية جنبا إلى جنب مع العربية والفارسية في المدارس التي تم افتتاحها فيما بين سنوات ١٨٧٦ – ١٨٨٦م.[59]

المبحث الثاني : مؤسسة المدارس والجامعة

١ – الأنشطة التعليمية، وعدد مدارس إسطنبول أثناء فترة حكمه

تم تأسيس ٢٦٤ مدرسة للأولاد، و ٣ مدارس أولية خاصة بالفتيات، و ١٩ للبنين، مع مدرسة إعدادية بحرية واحدة، و 8 مدارس عسكرية، و٥ مدارس للفتيات، و ٢٠ مدرسة للبنين، و ١٢ مدرسة للتعليم العالي والتعليم الثانوي في إسطنبول في نفس الفترة. إن السلطان عبد الحميد الثاني هو المؤسس الحقيقي للتعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي. وكما ذكرنا من قبل فإنه تم إنشاء بنايات خاصة بهدف افتتاح مدارس للتعليم الثانوي في كل الولايات وفي أغلب الأقاليم. وتم تأسيس مدارس للمرحلة المتوسطة في المقاطعات، وتم افتاح : مدارس للتعليم الثانوي في إسطنبول.

المدارس الأولية التي تعرف ب " المرحلة الابتدائية " وصلت في عهده إلى القرى، ووصل عددها من ٦ مدارس إلى ٩٣٤٧ مدرسة، ووصل عدد مدارس "الرشدية " (المرحلة المتوسطة) من ٢٧٧ إلى ٦١٩ مدرسة. واعتبارا من المرحلة المتوسطة كان تدريس اللغة الأجنبية إجباريا. أما عدد المدارس الإعدادية فقد ارتفع من ٥ (الرسمية الخاصة إلى ١٠٩ مدرسة علاوة على ذلك فإنه نجح فيما فشل فيه من سبقوه، وافتح باحتفال كبير " دار الفنون " وضمها إلى المؤسسة التعليمية. ولم يكتف بذلك بل افتتح أيضا عدة مدارس مثل الحقوق الملكية، الهندسة الإنشائية، الصنايع النفيسة، التجارة، الغابة، المعدن، التدريب الصناعي والزراعي.[60]

---

[59] المرجع نفسه.

[60] د سيف الله آرباجي. (٢٠١١). السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية. إستانبول، تركي. ط ١. ص ٣٢.

لقد افتخرث إسطنبول بان عدد مدارسها للمرحلة المتوسطة قد اقترب من ٧٠ مدرسة متوسطة مع نهاية عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

٢ – مدارس التعليم العالي

١ – مدرسة الملكية كلية العلوم السياسية

٢ – مدرسة الحقوق[61] (كلية الحقوق)

٣ – دار الفنون (جامعة تحتوي على كليات الآداب والفنون)

٤ – مدرسة الصنايع النفيسة[62] (أكاديمية الفنون الجميلة)

٥ – دار المعلمين العليا (٣٣ أكاديمية للتعليم العالي)

٦ – ملكية الهندسة (كلية الهندسة)

٧ – مدرسة المالية

٨ – مدرسة التجارة

٩ – المدرسة العليا للزراعة (كلية الزراعة)

١٠ – التجارة البحرية (مدرسة التجارة عبر البحار)

١١ – دار المعلمات (١٢ مدرسة فنية للبنات)

١٢ – مدارس للبكم والمكفوفين

١٣ – مدرسة عشيرة (بهدف تواصل أبناء رؤساء عشائر أكراد الشرق مع الدولة)

١٤ – مبنى ثانوية إسطنبول وأوسكودار الحاليين

١٥ – مدرسة التنقيب المعدني

لقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بسلسلة من الإصلاحات الواسعة إلى جانب إدخاله النظم التعليمية الحديثة وملا بها كل تركيا بشكل خاص، والشرق الأوسط بشكل عام. وكما كان السلطان عبد الحميد ومستشاروه والمدافعون عن الدين والتقاليد واثقين في قدرة الإسلام على مسايرة العلم والتقدم، كذلك كانوا جميعا في صف التغيير والتجديد ويؤيدونه.

٣ – مدارس غير المسلمين

---

[61] انظر إلى ملحق (٢)

[62] انظر إلى ملحق (٣)

كفلت الدولة العثمانية في تلك الفترة حرية تعليم واسعة لرعاياها من غير المسلمين. وفيما يلي عدد المؤسسات التعليمية الخاصة بغير المسلمين في تلك الفترة :[63]

١ – مدارس الروم ..... ٦٦ مدرسة

٢ – مدارس الأرمن ..... ٤٥ مدرسة

٣ – مدارس اليهود ..... ٣٤ مدرسة

٤ – مدارس البروتستانات ١١مدارس

٥ – مدارس الكاثوليك ..... ٩ مدارس

٦ – مدارس البلغار ..... ٣ مدارس

حاول السلطان عبد الحميد الثاني بإخلاص أن ينشر مؤسسات التعليم والتنوير في كل أنحاء الوطن إلى جانب اهتمامه بإعمار الدولة. ثم تم افتتاح مدارس للمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية في شتى بقاع البلد. لقد عمل دائما بجد لتطوير مجتمع على دراية وتوجيه شعبه. كان سلطان عبد الحميد الثاني شديد الحماسية وليس من السهل الهشة رغم العقبات الكثيرة التي واجهته، خاصة المناهج الدراسية التي جلبت من الدول الغربية.

[63] المرجع نفسه.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا فما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، اللهم صلى سيدنا محمد وعلى آله محمد كما صليت على سيدنا إبرهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .أما بعد، لما كانت الخاتمة جزءا مهما من كل بحث، لما تحتوية من نتائج تلفت انتباه القارئ، فإننا في هذه الخاتمة أورد ما ذكرته في خلال هذا البحث الوجيز بصفة موجزة.

من هذا يحكي قصة صحوة الإمبراطورية العثمانية والمعارضة المختلفة والمقاومة التي واجهوها أثناء تطوير الإمبراطورية العثمانية نفسها. استمروا في العمل الجاد لبناء والدفاع عن المملكة. على الرغم من أن القسطنطينية كانت في البداية معارضة رئيسية للإسلام توسيع أراضيها ولكن الآن أصبحت واحدة من أهم الدول في تاريخ العالم الإسلامي. طبعا، كان إسهامات الخليفة قد ساهم بشكل كبير في الإمبراطورية العثمانية في مختلف المجالات، وهي الدفاع والاقتصاد والسياسة والتعليم وبدونها لم تكن الإمبراطورية العثمانية موجودة وكانت مملكة قوية وقوية.

لا شك أن عبد الحميد الثاني هو البطل الرئيسي بلا نزاع في أواخر عهد الدولة العثمانية. إن عبد الحميد الثاني والفترة التي حكم فيها، لهي درة مليئة بالخبرات والعبر ظلت راقدة. إن الدول والمؤسسات ترتقي بالكوادر المناسبة، والتي تبذل كل ما في وسعها لخدمة القضية، والتي تعبر عن أفكارها بوضوح عندما يقتضي الأمر. ولقد نجح السلطان عبد الحميد الثاني إنه أحد القادة النادرين الذي استطاعوا وقت الأزمات أن يحافظوا على عزة الأمة ومجدها في أبهى شكل.

حاول السلطان عبد الحميد الثاني بإخلاص أن ينشر مؤسسات التعليم والتنوير في كل أنحاء الوطن إلى جانب اهتمامه بإعمار الدولة. ثم تم افتتاح مدارس للمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية في شتى بقاع البلد. لقد عمل دائما بجد لتطوير مجتمع على دراية وتوجيه شعبه. كان سلطان عبد الحميد الثاني شديد الحماسية وليس من السهل الهشة رغم العقبات الكثيرة التي واجهته، خاصة المناهج الدراسية التي جلبت من الدول الغربية.

المصادر والمراجع

- أحمد عبد الرحيم مصطفى. (١٩٩٣). في أصول التاريخ العثماني. دار الشروق.
- إسماعيل باغى. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.
- السلطان عبد الحميد الثاني. (١٩٧٧). مذكراتي السياسية "1891-1908"، مؤسسة الرسالة. بيروت.
- تاريخ سلاطين آل عثمان تحقيق بسام الجابي للقرماني ص ١٠. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط.
- روبير مانتران – ترجمة بشير السباعي. تاريخ الدولة العثمانية الجزء الأول. القاهرة.
- روبير مانتزان. (١٩٨٩). تاريخ الدولة العثمانيةالجزو الأول.
- سليمان بن صالح الخراشي. كيف سقطت الدولة العثمانية؟.
- سيف الله آرباجي. (٢٠١١). السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية. إستانبول، تركي.
- عائشة عثمان أوغلي. (١٩٩١). والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: أوغلي إكمال الدين إحسان، نقلها إلى العربية : صالح سعداوي صالح. دار البشير، عمان، الأردن.
- عبد العزيز محمد عوض. الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، تق :أحمد عزت عبد الكريم، رسالة ماجستير في الآداب. دار المعارف، القاهرة.

- عبد العزيز محمد عوض. الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، تق :أحمد عزت عبد الكريم، رسالة ماجستير في الآداب. دار المعارف، القاهرة.

- عبد المنعم الهاشيمي. (٢٠٠٤). الخلافة العثمانية. دار أبن حزم، بيروت.
- على محمد الصلابي. (٢٠٠١). الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط.
- علي محمد الصلابي. (2007). الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط. جمهورية مصر العرابية : القاهرة.
- علي محمد الصلابي. (٢٠١٣). السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية. المكتبة العصرية، بيروت.
- عمر عبد العزيز. (١٩٨٣). تاريخ المشرق العربي ١٥١٦ – ١٩٢٢. دار النهضة العربية، بيروت.
- عمر فاروق يلماز. السلطان عبد الحميد خان الثاني المفترى عليه دراسة من خلال الوثائق. دار نشر عثمانلي: استانبول.
- عيسى حسن. (٢٠١٠). أعظم شخصيات التاريخ (دينية، أدبية ،سياسية، عممية، فلسفية). عمان الأردن.
- ماري دكران سركو. (٢٠١٠). دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908. منشكارت الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق.
- ماري ملز باتريك. (١٩٨٦). سلاطين بني عثمان "صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي". مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، لبنان.
- محمد الطاهر سحري. (٢٠٠٨). مختصر تاريخ الدولة العثمانية. ج1، مطبعة المعارف، عنابة –الجازائر.
- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (الأنجلو المصرية، القاهرة).
- محمد حرب . (١٩٩٩). العثمانيكف في التاريخ كالحضارة. دار القلم، دمشق.
- محمد حرب. (١٩٩١). مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني. دار القلم، دمشق. ط ٣. .
- محمد حرب. (١٩٩٤). العثمانيون في التاريخ والحضارة. القاهرة.
- محمد حرب. السلطان عبد الحميد أخر السلاطين العثمانيين الكبار. دار القلم، دمشق، دس.
- محمد زكي ملا حسن الدرواري. (٢٠٠٩). الكورد والدولة العثمانية. دار الزمان، دمشق
- محمد سهيل طقوش. (2008) تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى النقلاب على الخلافة. جميع الحقوق محفوظة.
- ميمونة حمزة المنصور. (٢٠٠٧). تاريخ الدولة العثمانية. دار الحامد لمنشر والتوزيع، عمان – الأردن.
- نزار فازان. (١٩٩٢). أحداث ومشاهير عالمية "سلاطين بني عثمان بين فتنة الأخوة وفتنة الانكشارية. دار الفكر اللبناني، بيروت.

- Ismet Bozdag : II. (2000). Abdulhamid'in Hatra Defteri. Pinar Yayinlan, Istanbul.

الملحق رقم (١)

السلطان عبد الحميد الثاني

الملحق رقم (٢)

مدرسة الحقوق

الملحق رقم (٣)

مدرسة الصناع النفيسة